

رمضان ١٣٩٢/أكتوبر - نوفمبر ١٩٧٢



بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد التاسع المجلد العشرون

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

علوم

استطلاعات

المدير العام : فيصل محمد البسام المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

التعليق على صورة الغلاف

في شهر رمضان المبارك يتجه المسلمون الى بيوت الله بقلوب عامرة بالايمان والتقوى .
تصوير : شيخ أمين

الصيام
سمو بالنفس وتهذيب

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ،
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون» .

بقلم فضيلة الاستاذ سليمان بن عبد العزيز آل سليمان

صيام شهر رمضان هو الفرصة الوحيدة التي تجد فيها الجماهير والأفراد المسلمة دافعا لإصلاح إعوجاجها في مسيرتها ، ومحطة لتعبئة القوى الروحية والخلقية ، وتزويد النفوس بطاقات من الايمان والعقيدة والعمل . والصيام يمنح الأمة ، فيما يمنح ، تذكيرا بالعدل والإيثار ، ويقضي على الأنانية والأثرة والاشر والبطر .

ان المسلم الصائم طواعية واختيارا وعبودية لله ، وخضوعا لجلاله ، وتقربا اليه ، وأنسا بمناجاته ، يرى أن الانقطاع والانطواء والعزلة وحب الذات ، والبعد عن مشاركة المجتمع المسلم في آلامه ومصائبه ، يرى في ذلك كله خروجا عن أهداف الاسلام وما يرمي اليه . وكما يرى انه يجدر به أن يسمو بنفسه حيث الرفعة والكمال والشعور بآلام وآمال أخوانه من حوله ، وأن يثور ويجانب الشهوات والاسفاف الخلقي والظلم والبغي والبغضاء والعدوان . لأن في ذلك ضعفا لروح الأمة وتفكيكا للروابط التي تربط المجتمع بعضه ببعض وتقيه من التصدع والانهيار .

ان الذين يستقبلون رمضان على انه شهر جوع بالنهار ، وشبع بالليل ، وتلاوة للذكر باللسان ، ونوم بالنهار ، ومرح بالليل ، واقامة الحفلات والموائد ، هؤلاء لا يستفيدون منه . أما أولئك الذين يستقبلون رمضان على انه مدرسة لتجديد الايمان ، وتهذيب الخلق ، وتقوية الروح ، وتطهير النفس من أدران الخطيئة ورواسب الآثام واستئناف حياة أفضل وأكمل ، هؤلاء هم الذين يستفيدون من الصيام ، ويجدون في نهاره لذة ، وفي مسائه وليله وسحره وفجره متعة وتقربا الى الله وأنساً ، وهؤلاء هم

الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان ، وتغلق عنهم أبواب النار ، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى ، وهؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورة لهم ذنوبهم ، مكفّرة عنهم سيئاتهم ، مجلوة بنور الله أفئدتهم وقلوبهم ، مجددة بقوة الايمان عزائمهم ، وهؤلاء هم الذين تصلح بهم الأوضاع وتسعد بهم المجتمعات . الا ما أحوجنا اليهم في هذا العصر والعقيدة الاسلامية قد أخذت تخبو وتضعف ، وجرثومة الفساد تستشرى وتنتشر ، والانحلال يكشر عن نابه .

وفي الصيام يذكر الانسان انه يستوي مع الناس في قوام الحياة ، من غذاء وسكن ولباس ، وفي الصيام يذكر الأقوياء والأغنياء وكل ذي سلطان أنهم كسائر الناس في حاجة الى رزق الله وطعامه وشرابه ، وكالفقراء جوعا وضعفا حين يحال بينهم وبين الغذاء والماء . وهذا أول ما يذكره الصائم من المعاني التي تخطر في مخيلته والتي قد ينساها في غير رمضان . وما أروع هذا الدعاء وما أبعد مغزاه ودلالته حين يفطر الصائم فيقول « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » ، انه يعترف بأن الرزق رزق الله ، والمال ماله ، والعطاء عطاؤه ، لا يملك من ذلك شيئا الا ان يمنحه الله اياه ، وهذه أخص خصائص العبودية ، وألزم صفاتها . ومن الحق أن يذكر الانسان دائما من حوله ومن يحيط به ، وأن يقوّي صلته بأمته ومجتمعه ، وأن يعيش معهم دائما بقلبه وروحه يفرح لفرحهم ويتألم لألمهم . وما قسا الأغنياء على الفقراء ، ولا قطع القريب صلة القربى ، ولا تنكر الجار لحق الجار ، الا حينما انفصمت عرى الرابطة الاجتماعية فيما بينهم ، فعاش كل واحد منهم لنفسه لا لأخوته ، وعاش لبطنه وشهوته لا مع أمته في حاجاتها ومطالبها وآلامها وآمالها . وفي الصوم يذكر الانسان انه من المجتمع ، يذكر بأنه منهم واليهم ومعهم وبجوارهم ، انه يجوع معهم ويفطر معهم ويستقبل العيد معهم . انه حينئذ يتذكرهم ، ويتذكر حاجاتهم ، ويتذكر فقراءهم وما يعتريهم من جوع وينتابهم من بؤس وحاجة . ومن هنا كانت نفس الصائم أسمى النفوس ، وأجودها بالعطاء ، وأقربها الى الخير والى قلوب الناس .

لقد كان رسول البشرية وخاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام أجود الناس ، ولكنه كان في شهر رمضان كالريح المرسلة سخاء ونفعا .

وفي الصوم تعويد على هذا الخلق الكريم ، فالصيام عبادة مستورة ، هو سرّ بين العبد وربه ، لا يكون فيه الرياء ولا الخداع ، ولا يطلب عليه المدح ولا الثناء . يصوم المسلم وحسبه من جوعه وخضوعه علم الله به ، واطلاعه على صدق نيته ، وحسبه من الثواب والجزاء أن يطهر الله نفسه من الرياء والتصنع ، وأن يلزم لسانه الصدق والوفاء .. يرتدع عن الكذب والغش والسرقة والغيبة والإيذاء والعدوان على الناس في أعراضهم وأموالهم . وقد نهى الاسلام الصائم أن يقابل الاساءة بالمثل . (فان أحد شاتمه أو خاصمه فليقل ، اني صائم) .

وفي الصيام جوع للبطن ، وشبع للروح ، واضعاف للجسم ، وتقوية للقلب ، وهبوط باللذة ، وتصعيد للنفس وسمو بها . وفي الصيام يجد المؤمن فراغا لمناجاة الله ، والاتصال بــه ، والأنس اليه ، والعيش في رحابه . كما يجد فيه متسعاً لتلاوة كتاب الله الخالد العظيم ، وتدبّر آياته البينات التي تهذب النفوس وتصلحها ، وتقوّم الأخلاق ، وتطهر الأرواح . وفي رمضان تقوى دوافع الخير حينما يسمع المسلم قول ربه في القرآن يناديه للخير ، ويهيب به الى التقوى ، ويردعه عن الشر ، ويحجزه عن الاثم . واذا تقرب المسلم الى ربه تقرب الله اليه ، فطالما ابتعد العبد عن ربه في غير رمضان ، وأغرته الحياة بما فيها من اغراء ، وصده الشيطان عن الكثير من مجالات الخير ، وألهاه المال ، وأبطره الغنى ، وهبط بنفسه الى المستوى البهيمي ، ونسي أن الله استخلفه في الأرض ليصلح ويصلح ، ويعيش في رحاب الله يناجيه بصدق ، ويستمد العون والهداية منه والثبات على المبدأ ، ويستلهمه التوفيق .

هذا بعض ما يثبته ويحركه الصيام في نفس المسلم من سمو نفس ، وشرف هدف ، ونبل غاية ، واشراق روح ، وهداية قلب . وهذا ما كان يفهمه السلف الصالح من معاني الصيام ، وبذلك كان الصيام معجزة من معجزات الاسلام .. يأخذ بيد المسلم على الثبات على الحق والدعوة اليه والتخلق بــه .

ان الاسلام يريد منا أن نكون في كل عصر أكرم من يمثل الحق ويحميه ، فهلاّ وجدت المجتمعات الاسلامية في رمضان ما يقربها الى المستوى الذي أراده الله لها ، وهو قيادة البشرية الى الخير والمحبة والوئام ■

سليمان بن عبد العزيز آل سليمان – الدمام

اللغة العربية وقاموسها الحضاري

بقلم الاستاذ عبد الكريم الخطيب

لأمر ما اقتضته حكمة الحكيم العليم ، كان القرآن الكريم — في كلماته ، وآياته ، وسوره — محمل المعجزة المتحدية ، التي وضعها الله بين يدي النبي الأمي ، شاهد صدق على أنه رسول رب العالمين ، وحجة قائمة أبد الدهر على أن هذا الكلام هو كلام الله ، المبلغ عنه تعالى ما تحمل آياته من أحكام وآداب ، ومواعظ وزواجر .. فهذا الكتاب الكريم ، رسول قائم بذاته ، يحمل بين يديه معجزات قاهرة متحدية تسجد لجلالها الوجوه ، وتتخاضع لعظمتها الرقاب .. ومن هنا كانت تلك الصلة الوثيقة التي لا تنفصم أبدا بين اللغة العربية وبين الدين الاسلامي ، شريعة وعقيدة .

فاللغة العربية بهذا الاعتبار ليست على شاكلة أية لغة من اللغات الحية التي تنحصر وظيفتها في نطاق النشاط الانساني الخارج عن محيط العقيدة ، والذي يدور في فلك العلوم ، والفنون ، والآداب ، التي يكون اللسان ترجمانها ، وتكون اللغة أسلوب الدلالة عليها .. وانما تقوم اللغة العربية الى جانب تلك الوظيفة بمهمة أخرى ، ربما كانت أعظم شأنا ، وأبلغ أثرا ، هي اقامة المعتقد الديني في كيان أصحابها على أساس من دلالات ألفاظها ، وموحيات معانيها ، وإشارات حقائقها ومجازاتها .. فبعين هذه اللغة ينظر الناظرون في كتاب الله ، وبمنطق هذه اللغة يرد الواردون على كتاب الله ، وبأسلوب هذه اللغة يتعامل المتعاملون مع كتاب الله ، وأنه بغير هذا لا يكون للمؤمن سبيل قاصد ، أو طريق مستقيم الى كتاب الله ، والى سنة رسول الله .

وقد ينكر هذا القول بعض الناس ، ويرى فيه مغالاة تخرج به عن سنن الحياة . وتقضي على اللغة العربية بأن تظل في داخل هذه العزلة التي لا تخرج منها الى ما وراء حدود النظم القرآني ، في مفرداته ، وأساليبه ، ولا تستحدث جديدا ، من الألفاظ والتراكيب ، وتتقبل من الحياة ما تلد من مواليد ، في كل لحظة ، ومع كل نفس يتنفسه الناس ، ومع كل سر تبوح به الطبيعة لهم .

ان اللغة كائن حي ، ومن شأن الكائن الحي أن يتأثر ويؤثر ، ويأخذ ويعطي ، ويتبدل أثوابا بأثواب ، فيخلع قديما ، ويلبس جديدا ، والا كان في معرض الفناء والضياع .. واللغات الحية كلها انما عاشت في سلسلة متصلة الحلقات من التفاعلات الثائرة حينا ، المترفقة أحيانا ، وهي في كل مرة تنتقل من حال الى حال ومن طور الى طور ، وفي كل حال من أحوالها ، ومع كل طور من أطوارها ، تنضو قديما ، وتلبس جديدا ، وتفقد أرضا وتكسب أرضا ، واذا هي في تنقلها مع الحياة ، وتطورها مع الزمن ، قد سارت أشواطا بعيدة ، باعدت بين أولها وآخرها وأوهت أو قطعت الصلة بينها وبين ماضيها ، وحتى لتبدو في يومها وكأنها بنت العصر الذي تعيش فيه ، لا يكاد يعرف أهلها وجها لقديمها ، ولا يذكرون شيئا من ماضيها ، ومع هذا فقد وسعت هذه اللغة كل حياتهم ، العلمية ، والأدبية ، والفنية ، وجرت معهم الى أبعد شوط تنطلق اليه عقولهم ومدركاتهم أو تسبح فيه خيالاتهم وأوهامهم .

فكيف اذن يكون موقف اللغة العربية من الحياة هذا الموقف الملتزم للقاموس القرآني في مفرداته وتراكيبه ، ثم يكون لها مع ذلك مشاركة في الحياة المتجددة المتطورة ؟

هذا قول تردد كثيرا على الأفواه ، وتنادى به كثير من الناس في آفاق الامة العربية ، وبخاصة في تلك المواطن التي تأثرت تأثرا كبيرا بالثقافة الأوروبية ، واتصل أبناؤها اتصالا مباشرا بالأدب الأوروبي وفنونه المختلفة .. وكان من أثر هذا أن قامت تلك المعارك الحادة والجادة أيضا بين أنصار القديم ، ودعاة التجديد ، منذ نحو قرن من الزمان .. وليس من همنا هنا أن نعرض لهذه المعارك ، وأن نسجل الهزائم والانتصارات لأي من طرفي النزاع ، وانما الذي يعنينا في هذا البحث ، هو دفع هذه التهم الملفقة التي يرمى بها في وجه اللغة العربية من أبنائها وغير أبنائها الذين يريدونها على أن تكون لغة « كهنوتية » يتعبد بها المتعبدون في دور العبادة ، وحيث تقام شعائر الدين .. فهذا هو دورها الطبيعي كما يزعمون ان أريد لها أن تأخذ مكانا ولو ضيقا في الحياة ... ثم ان للناس بعد هذا ان يطوعوا اللغة التي يتعاملون بها في العلم والأدب والفن لما تقتضيه روح العصر ، ولو أدى ذلك الى الخروج جملة عن اعراب هذه اللغة ونحوها وصرفها ، وقاموس ألفاظها ، وأساليب بيانها ، وفنون بلاغتها ، وضوابط نثرها ونظمها .. تلك هي بعض صرخات الذين يصرخون في وجه اللغة العربية في هذه الأيام ويؤذنونها بحرب ضروس اذا هي لم تغرب من آفاقهم ، وتنزوي في دور العبادة ، أو في صدور المتعبدين ..

هذا هو الموقف بين اللغة والثائرين عليها منذ سنوات عديدة مضت ، وقد بحت أصوات تلك الجماعات الثائرة المتصايحة ، وطال

وقوف القوم تحت سماء اللغة العربية الصافية ، وكادت تفضحهم أضواؤها الساطعة ، وتحرقهم أشعتها القوية النافذة . فولوا على أدبارهم منهزمين ، وبدلا من أن تغرب اللغة العربية من وجوههم ، غربوا هم من وجهها ، وبدلا من أن تنزوي اللغة العربية في دور العبادة . وتنكمش في صدور العابدين ، انزووا هم في منقطع عن الحياة ، وعن الناس ، ثم راحوا — وفي غير خجل — يدعون أنهم قادة ركب الحياة . وطلائع أبناء العصر بهذا اللغو الذي أطلقوا عليه اسم « الشعر الحديث » وبهذه الرطانات العامية الممجوجة التي أسموها « أدب العامة » .

وملهاة « الشعر الحديث » أهون من أن نخشى على اللغة العربية منها .. فهذا الذي سماه أصحابه شعرا ليس الا لغوا من الكلام . وقد وجد أصحاب هذا « الشعر » منافذ ينفذون به منها الى الناس مطبوعا في دواوين مصقولة الورق . جيدة الطباعة أنيقة الغلاف ، رخيصة الثمن .. ولكن ذلك كله لم يغر أحدا من أهل الجد في الحياة بأن يمد اليها يدا .

ومن الحق أن نقرر أن بعض هذا الشعر ينشر في بعض الصحف والمجلات . ولكن العين لا تأخذ منه الا هذه الصور والزخارف التي تطرزه وتحف به ، والا هذه « النوتة » الموسيقية العجيبة من علامات الاستفهام ، والتعجب ، والحذف ، والوصل ، والوقف ! !

ومن الحق أيضا أن نقرر أن بعض هذا الشعر يتدسس الى الاذاعة في أخريات الليل . ولكن أحدا لا يجرؤ على القائه الا في مصاحبة الأنغام الموسيقية ، حتى تختفي في أصدائها حقيقته ، وتذهب معالمه .

والتجربة العملية أصدق برهان على عقم هذا الشعر وفساده .. فما أكثر قائليه ، وما أكثر ما نشر منه في الصحف والمجلات ، وما أكثر ما طبع منه في دواوين .. ومع هذا فهل يحتفظ انسان واحد . على التحديد بمقطوعة منه في حافظته ؟ وهل يستشهد انسان واحد — على التحديد أيضا — ببيت منه في أي مقام يقتضيه أن يقيم شاهدا من بيت شعر ، أو حكمة أو مثل ؟ ولا أحسب أن أحدا يقول هنا : ها أنذا !

أما أصحاب الأدب العامي ، فالخطب فيهم هين . اذ وقفوا بأدبهم هذا على الحدود الطبيعية له فلم يجاوزوا به حدود العامة ، ولم يخرجوا به عما يدور في حياتهم اليومية ، وما يجري على ألسنتهم من أغان ومواويل وحكايات وأحاج ونحو هذا .. ولم يستطع هذا الأدب أن يغشى حمى مواطن الجد ، وأن يخاطب عقل الأمة ووجدانها في عظائم الأمور ، وجسام الأحداث .. وعلى هذا ظل الأدب الشعبي حيث هو بعيدا عن أن يكون منافسا للغة العربية ، أو خطرا على وجودها .. بل أن وجود مثل هذا الأدب الشعبي ، يبعث دائما حياة مجددة في اللغة العربية ، ويقيم لها برهانا مبينا على أنها اللغة التي ترتفع بالمدارك والعواطف ، وأنها حيث كانت ، كانت عقول الجماعة في أعلى مستوياتها ، وكانت مداركها ، وعواطفها في أحسن وأحمد أحوالها .. وهكذا ستظل اللغة العربية وآدابها وفنونها ، مع وجود الأدب العامي وفنونه ، لغة الحضارة ، وعقلها ، وضميرها ولسانها المعبر عنها .

والموقف هنا ، هو : هل اللغة العربية مع هذا القيد الثقيل الذي ألزمها أن تظل مرتبطة بأصولها الأولى ، وبالقواعد التي تقرر منذ قرون طويلة في مقررات نحوها ، وصرفها ، واشتقاقها ، وفي أساليب بيانها ، ونظمها ونثرها ؟ وهل اللغة العربية مع هذا الوضع قادرة على أن تساير مع أصحابها ركب الحضارة ؟ وهل هي مسعفة أهلها بما يستجد في الحياة من مصطلحات العلوم والفنون . وبما يقوم بين يدي هذه المصطلحات من مسميات لا تكاد تحصى في كل علم وكل فن ؟

هما أمران ليس للغة العربية خيار في ألا تأخذ بأي منهما : فاما أن تظل حبيسة رهن هذا القيد الملزم لها بالوقوف على قدميها ، دون أن تخرج عنه .. وهذا يعني أنها لن تتقبل من الحياة جديدا وهذا يعني بدوره ألا يدخل من الحياة جديد على أهلها ، اذ كانت اللغة هي الوجه الذي يظهر فيه كل ما جد من الآراء والمذاهب ، وما استحدث من معطيات العلم والفن .

واما أن تكسر اللغة العربية هذا القيد ، وتفك نفسها من اساره ، لتنطلق في الحياة ، كما ينطلق كل حي ، تغتذي من كل ثمر ، وترتوي من كل نبع ، وتضع على ألسنة أصحابها أية كلمة تؤدي الى غاية ، وأي أسلوب يكشف عن معنى ، دون نظر الى وجه هذه الكلمة أعربية هي أم غير عربية ودون اعتبار للأسلوب ، أهو جار على أساليب العرب أم غير جار عليها .. فالمعتبر هنا هو الغاية وليست الوسيلة ، والمضمون وليس الشكل .. وهذا يعني أنه لا بأس علينا ، ولا خسران في موقفنا اذا نحن التفتنا يوما فلم نجد للغة العربية مكانا بيننا .. فان نكن قد افتقدناها فاننا لم نفقد اللسان الذي نتحدث به ، اللغة التي نتعامل بها ، ولا علينا أن يكون لهذه اللغة نسب تنتسب اليه ، من قديم أو حديث .

تلك هي القضية التي كانت موضوع هذا الحديث الذي قدمنا له بهذه المقدمة التي جاوزت مداها المقدور لهـا ، فطالت أكثر مما ينبغي ، وان يكن لنا من عذر نعتذر به عن هذه الاطالة ، فهو أن المقدمة قد مست جوهر الموضوع وتناولت صميم القضية في أكثر من جانب منها .

ولهذا ، فاننا لا نعرض هنا للصراع القائم بين القديم والجديد ، ولا نتحدث عن البضاعة التي يقدمها أصحاب الجديد في سوق الأدب والفن كبديل عن الشعر العربي ، في هذا « الشعر الحديث » الذي عرفنا قدره ووزنه أو كبديل عن النثر الفني في هذا « الأدب العامي » .

والذي نريد أن نقف عنده من هذه المقولات التي تقال عن اللغة العربية ، وعن جمودها ، وقصورها عن مسايرة الحياة ، والدخول بأهلها في منطلق الحياة المعاصرة ، وغشيانهم بها عالم المدنية والحضارة — هو هل اللغة العربية بمادتها ، وأصولها التي قامت عليها ، والتي استطاعت أن تتسع لكتاب الله ، وأن تحمل آيات أعجازه ، هل هذه اللغة تقصر في أي حال من أحوالها عن أن تبلغ ببيانها المبين أقصى ما تطمح اليه آمال الناس ، وما يبلغه سعيهم في كل مجال من مجالات الحياة ، فتكون ترجمان ما تثمر عقولهم ، وما تصنع أيديهم ؟

لقد امتحنت اللغة العربية أقسى امتحان تعرضت له أية لغة في تاريخ اللغات الحية كلها ، يوم أن خرجت من الجزيرة العربية تتبع جيوش الفتح الاسلامي ، وترفرف بأعلامها على كل موطن يدين بدين الله . وفي سنوات قليلة أظلت أعلامها فارس والعراق ، والشام ، ومصر ، ثم امتدت غربا حتى المحيط الأطلسي ، محتضنة بين ذراعيها بلاد الأندلس الى حدود فرنسا ، ثم امتدت شرقا حتى جاوزت الهند الى حدود الصين .

هذه اللغة التي كان يظن بها انها اذا خرجت من بيئتها الصحراوية ، وتجاوزت مراعي الابل ومضارب الخيام الى هذا العالم الرحيب وما أقام فيه أهله من حضارات عريقة ، وما صبغوا به حياتهم من ألوان زاهية من معطيات العلم ، والفن ، ومن ثمرات الحكمة والفلسفة ، والأدب — هذه اللغة التي كان يظن بها أنها لن تجد وجودها في هذه الدنيا العريضة ، وأنها لا تلبث أن تتبدد وتضيع كما تضيع قطرات المطر في عباب المحيط — سرعان ما استولت على حياة هذه الأمم التي نزلت بها ، وسرعان ما أصبحت لسانها العربي المبين ، ومنطق دينها ودنياها جميعا .. فكما انتصر العرب

بدينهم على كل موضع وطئته أقدامهم ، انتصروا كذلك بلغتهم على كل قوم دانوا بدينهم .. فكانت اللغة دائما رفيقة ملازمة لدين الله تعتز به ويعتز بها ، ويمتح القلوب لها ، وتقيم الألسنة له .

تلك حقيقة عرفها المسلمون منذ اليوم الذي دعوا فيه الى دين الله ، بما يتلو عليهم الرسول الكريم من آيات الكتاب المبين ، الذي يقوم من كلماته وآياته شاهد منه يشهد له بأنه كلام رب العالمين .. فان جادلوا وكابروا : « **فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين** » .. واللغة العربية التي نزل بها الكتاب هي وحدها التي يقوم منها هذا الشاهد المعجز المتحدي أبد الدهر ، فاذا ، افتقد الناس هذا اللسان العربي ، تقطعت الأسباب بينهم وبين كتاب الله ، وانطمست المعالم بينهم وبين دين الله .. ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا اللغة فانها من دينكم » .. ويقول ابن تيمية تعقيبا على مقولة عمر « فان تعلم اللغة واعتيادها يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا ، كما يؤثر في مشابهة صدر الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد في العقل والخلق ، والدين .. ولهذا كان تعلم اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فان فهم الكتاب والسنة لا يتم الا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » .

والدين اذ يقضي بأن يعيش المسلمون باللسان العربي المتصل بكتاب الله ، والمستقي من ينابيعه لا يكلف أهله ما لا طاقة لهم به ، ولا يرهقهم من أمرهم عسرا . بل يجري معهم على ما جاءت به الشريعة السمحاء من المياسرة والرفق .. وكان من تدبير الاسلام في هذا :

أولا : أنه التقى باللغة العربية ، وقد استوفت غاياتها من النضج والكمال ، في صدر أمة كانت الكلمة صورة وجودها المادي ، والنفسي ، والعقلي ، ترى فيها مشاهد فخرها وعزها ، وألوان حبها وبغضها ، وصور ماضيها وحاضرها ، كما تكشف بها عن مسارب خواطرها ، وذوب مشاعرها ، وخفقات قلوبها .. فكانت الكلمة — وهذا شأنها — الأنفاس التي تمسك حياة العربي ، وأنه لو افتقدها لمات مختنقا ، كما تموت الأحياء اذا افتقدت أنسام الهواء .

ومن هنا استطاعت الكلمة العربية أن تحمل في كيانها خلاصة ما في الانسان من مدارك ، وعواطف وتصورات ، وخلجات ، وأحاسيس ، ورؤى ، والهامات .. ثم جاء القرآن الكريم فنفخ فيها من روح الله ، فجاءت هذه الآيات المعجزة الخالدة التي تزداد على الزمن وضاءة واشراقا ، والتي ستظل على مدى الدهور مزهرة مثمرة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، لا يتصوح زهرها ، ولا ينفد ثمرها .

وثانيا : لقد بلغ القرآن ببيانه المعجز باللغة العربية الى أقصى الحدود البشرية التي يمكن أن تبلغها بالكلمة في مدارج الرقي والكمال ، فجاء بها في كل وضع على أعدله وأتمه ، وعرضها في كل صورة على أروعها وأجملها ، وطوف بها في آفاق الحياة الانسانية ، ظاهرها وباطنها ، وأقدرها على أن تصطاد أدق الخواطر وأن تتدسس الى أعماق النفوس فتكشف مستورها ، وتستخرج خبأها ..

وعلى هذا فان خلود اللغة العربية ليس على شاكلة هذا الخلود الذي يتراءى في تلك الآثار الباقية من مخلفات الأولين ، من معابد ، وهياكل ، وجثث محنطة ، وانما هو خلود في ضمانة حياة دائمة التنفس والنبض ، دائمة النمو والازدهار والاثمار ، انها شجرة طيبة تضرب بأصولها في أعماق الأرض ، وتصافح بفرعها وجه السماء .. ما ان تتساقط بعض أوراقها حتى تكتسي بالجديد الناضر من الورق ، دون أن تتغير طبيعتها ، أو يختلف لون ثمرها أو طعمه ..

وكلمة أخيرة لأولئك الذين ينظرون الى اللغة العربية من هذا الأفق الضيق المحدود ، حين ينظرون اليها في نتاج أهلها من علوم وفنون وآداب ، وانهم بهذا يظلمون اللغة العربية اذ يأخذونها بجريرة أهلها وبتخلفهم عن مسايرة الأمم المتحضرة في هذه المجالات ، تماما كما ظلموا الشريعة الاسلامية بالنظر في وجوه أهلها ، وفي سلوك أبنائها ، وفيما وقع لأيديهم من خطوط الحياة ، ومن مقامهم فيها هذا المقام غير الكريم ... ان هذا من ذاك ، سواء بسواء ! !

ان من يتهمون اللغة العربية بالتخلف والجمود هم على شاكلة من يتهمون الشريعة الاسلامية بالتخلف والجمود كذلك .. ولو استقام نظر هؤلاء وأولئك على طريق الحق لعرفوا أن آفة هذا التخلف وذاك الجمود كامنة في فتور العزائم ، وضعف الهمم ، ناجمة عن عجز النفوس عن احتمال التبعات ، وعن رفضها لقبول الدواء الذي يذهب بدائها ..

ومن جهة اللغة — وندع الآن جانب الدين — فانها لا تعدو أن تكون أداة يستخرج بها ما في العقول من مدركات ، وما في القلوب من خلجات .. فاذا كانت العقول مجدبة ، والقلوب فارغة ، فهل تلام اللغة العربية اذا صدرت عن تلك العقول ، وهذه القلوب ، وليس بين يديها ولا من خلفها شيء ؟.. ان الاناء — كما قيل — ينضح بما فيه ، وهذا هو نضيح اللغة مما في الآنية !

وأمر آخر ، نحب أن ننبه اليه ، وهو هذا الجهاد المشكور الذي تقوم به المجامع اللغوية في عديد من البلاد العربية ، وما تعاني من توليد الكلمات ، واشتقاق المفردات ، وتعريب المصطلحات . ان كل هذا وما اليه لا يعدو أن يكون تغذية صناعية ، قبل أن تتقبلها الاجسام السليمة ، او تعيش عليها . وما هكذا تنمو اللغة وتزدهر ، وانما نموها وازدهارها رهن بما يتخلق في كيان الأمة من أفكار ، وما يجيش في صدرها من آمال ، وما تطول يدها من مائدة الحياة ، وما عليها من مختلف الألوان ، وتعدد الطعوم وهنا وهنا فقط تتحرك الألسنة في يسر ، فتنطلق الأفواه في غير عناء بأسماء ما ولدت العقول من أفكار ، وما أبدعت الأيدي من مصنوعات فما عجزت الأم أبدا عن أن تجد الاسم المناسب الذي تطلقه على وليدها بمجرد أن يطل على الدنيا بوجهه ، وتسرح بعينيها في ملامحه .

لقد لبسنا أثوابا كثيرة مستعارة ، مما لم نصنعه بأيدينا ، ومما لم نشارك فيه بعقولنا ومشاعرنا . من مختلف العلوم كالطب والهندسة والفيزياء ، وفي شتى فنون الأدب من قصص ، وملاحم . وروايات ، وفي كل ما نتزيا به من أزياء ، وما نتحلى به من حلي ، وما ننتقل عليه من مراكب ، وما تغص به حياتنا العامة والخاصة مما نكاد نكون به صورة من صور المجتمع الأوربي ، فكيف ، والحال كذلك ، يمكن أن تكون اللغة العربية لغة التخاطب والبيان على مسرح كل نظارته غرباء أو شبه غرباء ، عن العرب ، وحياة العرب ؟

انه في اليوم الذي نجد فيه أنفسنا ، ونحرر فيه عقولنا ومشاعرنا من التبعية للغير في مجال العلوم والفنون ، وفي اليوم الذي يكون لنا فيه العقل العربي ، والقلب العربي ، والروح العربي — في هذا اليوم سيكون لنا اللسان العربي الذي يسع وجودنا كله ، ويحسن عرضه في أروع صورة ، وأبرع تصوير ، وما أصدق كلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما أحكمها وأعدلها في مقطع القول في هذا المقام اذ يقول « انه لو صدقت القلوب لصدقت الألسنة » ■

عبد الكريم الخطيب — القاهرة

مَصَادر المِيَاه في منطقَة الرّياض



« وَجَعلنا مِنَ الماءِ كلّ شيءٍ حيّ »

المياه هي عصب الحياة، بها يحيا الإنسان والحيوان والنبات على حد سواء، وعليها يقوم الاستقرار والعمران، ويعم الرخاء. والمياه في المناطق الصحراوية لا تقدر بثمن، لذلك كان تدبير المياه اللازمة للشرب هو ما يشغل بال المسؤولين في الدولة، وخاصة في المدن الرئيسية من المملكة العربية السعودية، كالرياض العاصمة التي أخذت في النمو السكاني والعمراني المطرد. وقد قامت وزارة الزراعة والمياه بإجراء دراسات واسعة للتعرف إلى مصادر المياه الجوفية حتى تسد احتياجات المدينة المزدهرة والمناطق المجاورة لها، كما أخذت في إقامة السدود على الأودية الهامة للاستفادة من مياه الأمطار والسيول في توفير حاجات الري وتوسيع الرقعة الزراعية.

المصادر الرئيسية للمياه

أهم مصادر المياه في شبه جزيرة العرب عامة ، وفي المملكة العربية السعودية خاصة ، مصدران ، هما العيون ، والآبار . أما مياه الأمطار فان الأعتماد عليها لا يذكر لقلتها وشحها في بعض انحاء شبه الجزيرة العربية . والعيون هي خير هذه المصادر لتوفر مياهها بغزارة ، بيد أن استصلاحها لا بد من أن تتوفر له المخططات السليمة والأموال اللازمة والخبرات الفنية .

أما الآبار فقد كانت فائدتها محدودة على القرى والمزارع ، غير أن توفر المعدات الحديثة التي أسهمت في حفر الآبار الى أعماق سحيقة وفي ضخ مياهها بكميات كبيرة ، جعلت هذه الآبار عظيمة الفائدة حتى للمدن الضخمة . وبذا فاننا نرى ان العيون والآبار هي أهم مصادر المياه لدى سكان شبه الجزيرة منذ القدم . ويقول الدكتور «جواد علي» عن أهمية الآبار للجزيرة العربية قبل الاسلام : « هي ثروة ورأس مال كبير في جزيرة العرب تحيي الارض ... لذلك كانوا ، أي عرب الجاهلية ، اذا حفروا بئرًا او اذا ظهرت لهم مياه عذبة غزيرة يقدمون الى آلهتهم الشكر والحمد والنذور » (١) .

ولا شك أن التاريخ يؤكد لنا أن الآبار الكبيرة العميقة أقيمت حولها مدن ، كما ذهبت مدن كانت مزدهرة بسبب نضوب مياهها وجفافها.

وللعيون الحارة التي تكون مياهها غنية بالمعادن كالكلسيوم ، والكلورين ، والكربونات . وحامض الكبريتيك ، والصوديوم ، والحديد وغيرها ، منافع أخرى غير السقاية ، حيث يقصدها العديد من الناس طلبا للمعالجة ، كعين نجم المشهورة في الأحساء .

نبذة تاريخية عن الرياض

الرياض مدينة عريقة في القدم قامت على انقاض مدينة حجر ، (٢) وتقع على خط عرض ٢٨ و ٢٤ في وادي حنيفة بنجد ، وعلى ارتفاع مقداره ٥٩٢ مترا عن سطح البحر . والرياض جمع روضة ، أي الحديقة ، ويرجح ان هذه التسمية مردها الى أن الرياض كانت في القدم منطقة غنية بالحدائق وبساتين النخيل التي كانت ، وما يزال بعضها ، يحيط بالرياض من أغلب جهاتها ممتدة مع ضواحيها من الشمال الى الجنوب . وكان يحيط بالرياض في الماضي سور ضخم له عدة أبواب كانت تقفل وقت الحاجة ، كما كان هذا السور محصنا بأبراج عديدة لحماية البلدة من الغارات .

ومناخ الرياض قاري ، شديد البرودة شتاء ، وشديد الحرارة صيفا ، اذ تبلغ درجة الحرارة العظمى في شهر أغسطس ٤٥ درجة مئوية ، وتنخفض في يناير الى درجة الصفر أحيانا . وتحيط بالرياض مجموعة من القرى والمدن الزراعية الصغيرة التي تكثر فيها أشجار المزارع وبساتين النخيل والتي تمون الرياض بما تحتاجه من المنتجات الزراعية .

مصادر المياه في الرياض

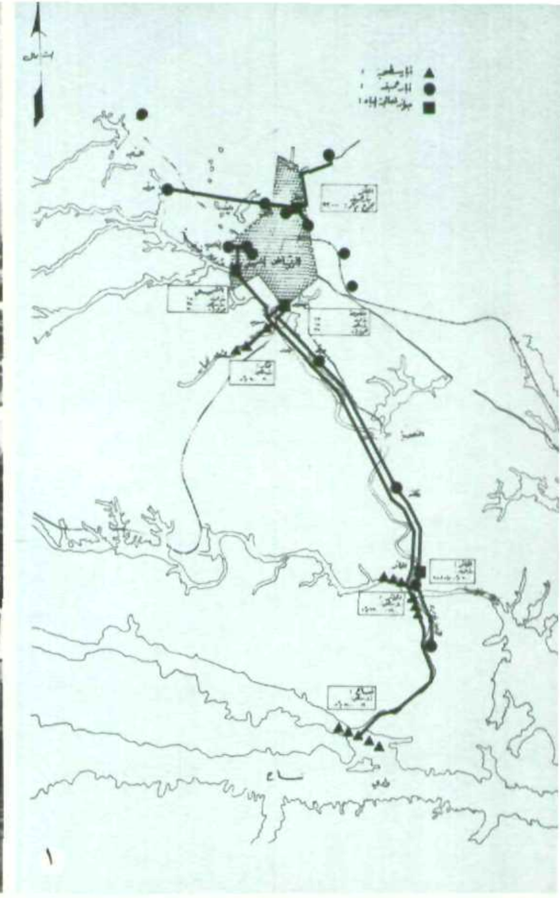
ان اتساع رقعة مدينة الرياض ، وازدياد عدد سكانها يحتمان استغلال كافة موارد المياه المتوفرة في المنطقة ، من تخزين لمياه الأمطار واستغلال للمياه الجوفية وهذا العمل يقضي باقامة معامل للتنقية وشبكة لايصال المياه النقية العذبة الى كل بيت ، مع الابقاء على موارد المياه الأخرى للاستفادة منها في مشاريع الزراعة والري . وحتى يصبح بالامكان الاستفادة من مياه الأمطار والسيول الى أقصى حد ممكن ، فقد انشئت سدود هي بمثابة خزانات لتجميع مياه الأمطار . ويمكن من هذه السدود لغرضين ، الأول : تغذية الآبار السطحية للمحافظة على مستواها ، والثاني : زيادة المياه الجوفية العميقة . وقد تم حتى الآن انشاء سد وادي حنيفة ، الذي يعتبر من اكبر الوديان في منطقة الرياض ، وسد لبن ، وسد نمار ، بالاضافة الى اربعة سدود ترابية كبيرة في منطقة الدرعية . وقد ساعدت هذه السدود على ارتفاع منسوب المياه في الآبار السطحية والعميقة في وادي حنيفة ، ووادي الحاير ، ووادي نساح ، ووادي عرقة ، بالاضافة الى الآبار الأخرى التي حفرتها وزارة الزراعة والمياه في مناطق مختلفة في مدينة الرياض نفسها .

هذا ، وتنقسم موارد المياه بصورة عامة الى ثلاثة أقسام هي : ـ المياه السطحية التي تجري في الوديان بعد هطول الأمطار أو من الينابيع ، والمياه الجوفية السطحية ، وهي مياه الأمطار والمياه الجارية ، التي تتسرب الى طبقات الحصى والرمال والحصباء ، أو الى مسام الصخور التي تغطي سطح الأرض . وتتراوح عمق هذه الطبقة بين بضعة أقدام ومئات الأقدام وفقا لعمق الطبقة الصخرية غير المسامية التي تمتد تحت الطبقة المسامية ، وتحتجز المياه في هذه الطبقة السطحية المسامية بعيدة عن التبخر . وتختلف كمية المياه الجوفية من مكان لآخر تبعا لاختلاف كمية الأمطار ، وتبعا لاختلاف القدرة المسامية للصخور على امتصاص الماء واستيعابه وحجزه . فالحصباء والحصى والرمال والصخور الهشة غير المتماسكة والصخور الرملية المسامية هي أكثر الصخور مسامية ، وهي التي تستوعب المياه وتمتصها بكميات كبيرة . اما الطين المتماسك والطفل والمارل والصخور النارية فهي غير مسامية أو قليلة المسام وليست لديها القدرة على امتصاص الماء أو اختزانه .

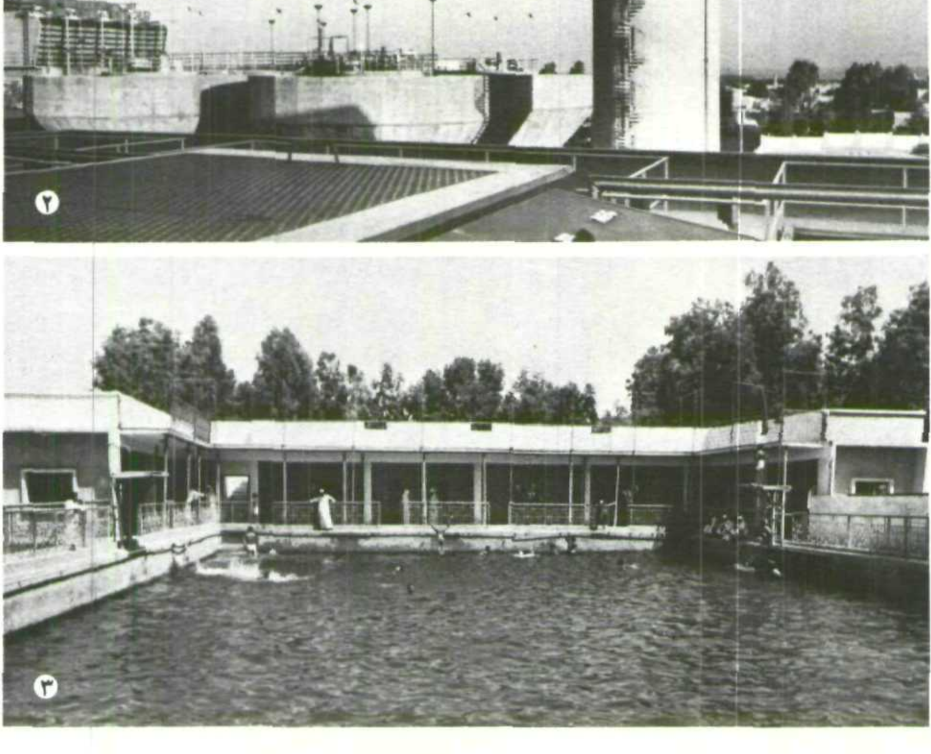
وأخيراً المياه الجوفية العميقة ، وهي التي تجمعت من الامطار اثناء العصور الجيولوجية القديمة ، والتي كانت فيها شبه الجزيرة العربية تحظى بأمطار أوفر مما هي عليه الآن ، وقد اختزنت هذه المياه في الصخور الرملية والجيرية التي ترتكز على صخور غير مسامية ، كالصخور النارية والمتبلورة والمتحولة ، وهي الصخور التي تتكون منها صخور القاعدة المركبة المسماه « Basement Complex » . ونتيجة لهطول الأمطار بغزارة في العصور القديمة تكونت تلك الأحواض الواسعة من المياه الجوفية العميقة ، التي تبلغ مساحتها آلاف الكيلومترات وسمكها مئات الأمتار ، والتي توجد في جهات مختلفة من المملكة مثل حوض « العلا ـ تبوك » ، وحوض « القصيم ـ الرياض » ، وحوض « الدواسر ـ نجران » .

ويهمنا هنا حوض القصيم ـ الرياض ، فهذا الحوض يتكون من الصخور الرملية من العصر الجوراسي الأسفل أو الترياسي الأعلى ، ويطلق على هذه التكوينات « المنجور » وهو يمتد من الأطراف الجنوبية للنفود الكبير شمالا حتى منطقة الخرج جنوبا . وتقع القصيم ومنطقة الرياض في هذا الحوض ، وهو يأخذ شكلا مستطيلا طوله (٣٠٠ ميل ، وعرضه ٨٥ ميلا) . ويعتبر حوض المنجور أمل المستقبل في امداد مدينة الرياض وضواحيها باحتياجاتها المتزايدة من المياه على المدى البعيد . وقد قامت وزارة الزراعة والمياه بحفر عدة آبار عميقة الى هذه التكوينات بمدينة الرياض والمناطق المجاورة لها . كما توجد آبار سطحية أخرى في وادي « نمار » ووادي « الحاير » ترفد تلك الآبار ، الا ان مياهها في انخفاض مستمر ، وذلك لان تلك الطبقة الجوفية لا تختزن في العادة كميات كبيرة من المياه ، كما هي الحال بالنسبة للطبقة الجوفية

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام . (٢) « الرياض عبر أطوار التاريخ » للعلامة حمد الجاسر .



١



٢

٣

العميقة التي تختزن كميات هائلة من المياه ترجع الى العصور الجيولوجية السحيقة ، والتي يعتقد ان مصدرها مياه الأمطار المتساقطة على سلسلة جبال طويق .

الآبار وخطوط التمديد

هناك اربع وثلاثون بئرا تمد الرياض باحتياجاتها من الماء، منها عشرون بئرا ماؤها من الطبقة الجوفية العميقة « Deep Wells » وست آبار ماؤها من الطبقة الجوفية السطحية « Medium Shallow wells » وثماني آبار سطحية « Shallow wells » . وتمد هذه الآبار العاصمة بحوالي مائة الف متر مكعب من الماء في اليوم الواحد ، أو ما يعادل ٢٦ مليون جالون . وقد حفر عدد من هذه الآبار في مناطق متفرقة من مدينة الرياض نفسها كالشميسي ، والملز ، والناصرية ، والكلية ، والبعض الآخر تم حفرها في وادي حنيفة ووادي نساح ، ووادي نمار ، ووادي الحاير ، وهي على أبعاد متفاوتة تتراوح بين اربعين وستين كلومترا . وتتم عملية نقل مياه هذه الآبار بواسطة ثلاثة خطوط من الأنابيب تنقل المياه الى محطات التنقية الثلاث ، خطان لنقل مياه الآبار من وادي نساح والحاير ، ونمار ، ووادي حنيفة الى محطتي التنقية في كل من الشميسي ومنفوحة ، والخط الثالث ينقل المياه من الآبار في وادي « عرقة » وبئر الكلية الى محطة التنقية في الملز . كما تم حفر أربع آبار عميقة جديدة احتياطية لمجابهة الطوارىء ، وتجرى كذلك دراسات واسعة للتعرف الى مصادر جديدة للمياه وقد وقع الاختيار على منطقتين حاملتين للمياه الجوفية العميقة ، الاولى في منطقة درام والمزاحمية ، وتبعدان عن الرياض قرابة ستين كيلومترا ، اما المنطقة الثانية فهي منطقة الوسيعة على بعد حوالي ١١٠ كيلومترات على الطريق بين الرياض والظهران . وقد أظهرت الدراسات الاولية ان مياه منطقة الوسيعة قد لا تحتاج الى عمليات المعالجة والتنقية ، كما هي الحال بالنسبة لمياه الآبار العاملة حاليا ، وانها غزيرة ثرة قد تسد احتياجات مدينة الرياض حتى اواخر القرن الحالي.

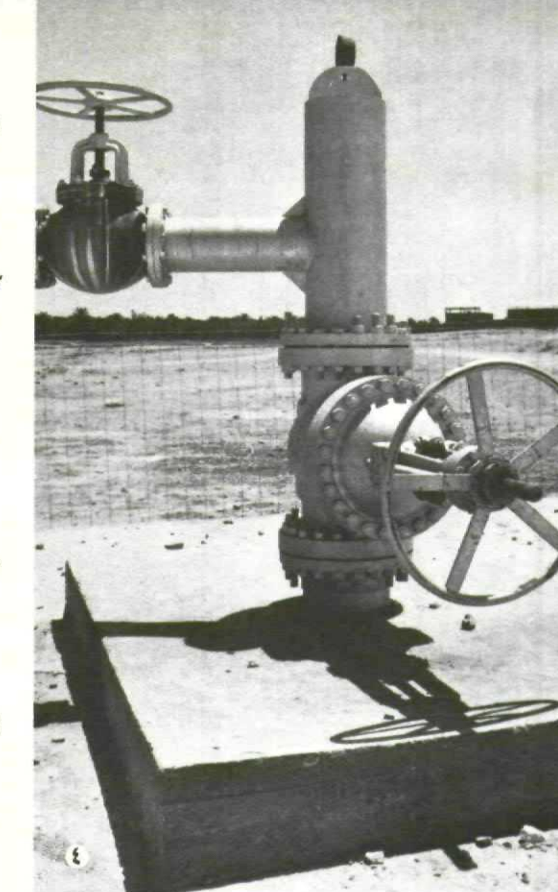
احتياجات الرياض المتوقعة من المياه مع تزايد عدد السكان

كلفت وزارة الزراعة والمياه احدى الشركات العالمية باجراء دراسات تفصيلية عن زيادة عدد السكان المتوقعة لمدينة الرياض حتى نهاية القرن الحالي ، ومدى احتياجاتها من المياه مع التزايد المستمر للسكان والاستهلاك الفردي خلال المدة المذكورة فخرجت بان عدد السكان سنة ١٩٧٠ كان نحو ٣٣٥ ألف نسمة ، وان هذا العدد قد يتضاعف في سنة ١٩٨٠ ، ثم يتضاعف مرة أخرى في سنة ٢٠٠٠م . الا أن استهلاك المياه سيتضاعف في سنة ٢٠٠٠ ثلاث مرات على الأقل عما هو عليه الآن . فقد قدر استهلاك سكان الرياض للمياه في سنة ١٩٧٠ نحو ٧٠ مليون لتر مكعب في اليوم الواحد ، وان هذا الاستهلاك سيتضاعف في سنة ١٩٧٨ ثم يتضاعف مرة أخرى في سنة ١٩٨٨ ، ويتضاعف للمرة الثالثة في حوالي سنة ٢٠٠٠ ويعود السبب في ذلك الى زيادة استهلاك الفرد الواحد من المياه خلال السنوات المقبلة حتى يبلغ في حوالي سنة ٢٠٠٠ ضعف ما هو عليه الآن .

السدود في الرياض والمنطقة المجاورة

سد وادي حنيفة : انشيء هذا السد عام ١٣٨٠هـ على وادي حنيفة ، الواقع على بعد عشرة كيلومترات شمال غرب مدينة الرياض ، وهو يزود المزارع والبساتين الواقعة خلفه مباشرة بما تحتاجه من مياه الري ، كما يقوم بتغذية الآبار المجاورة ورفع منسوب المياه الجوفية فيها . هذا بالاضافة الى أنه يقوم بحماية المدينة من أخطار السيول العارمة التي تتدفق عليها خلال فصل الشتاء .

سد نمار : انشيء عام ١٣٧٩هـ على وادي نمار الواقع على بعد خمسة كيلومترات تقريبا



١ – خارطة تبين مواقع الآبار التي تزود الرياض بحاجتها المتزايدة من المياه الصالحة للشرب .

٢ – محطات تنقية المياه الثلاث في الرياض تزود العاصمة بحوالي ١٦٠ ألف متر مكعب من المياه الصالحة للشرب ، وتقوم هذه المحطات بتبريد وتهوية وتنقية المياه قبل دفعها داخل شبكة التوزيع الرئيسية .

٣ – منطقة الخرج غنية بالمياه الجوفية التي تملأ برك السباحة في الأيام القائظة .

٤ – احدى آبار المياه الجوفية التي تعمل بالطاقة الكهربائية، وتوجد الآن ٣٤ بئرا حول مدينة الرياض متصلة بشبكة من الأنابيب تنقل هذه المياه الى محطات التنقية لمعالجتها وتوزيعها .

شمال غرب الرياض ، وتبلغ سعته حوالي مليون ونصف مليون متر مكعب من المياه .

سد لبن : وقد انشىء عام ١٣٧٩هـ على وادي لبن وهو احد فروع وادي حنيفة ، ويبعد حوالي ستة كيلومترات غرب مدينة الرياض ويستفاد من مياهه في تغذية الآبار الموجودة في المنطقة وفي الري .

محطات تنقية المياه في الرياض

ان النمو الهائل لمدينة الرياض واتساع رقعتها وازدياد عدد السكان فيها يجعلانها تواجه صعوبات لا يستهان بها حيال تزويدها بالمياه الصالحة للشرب ، وقد أقيم لهذا الغرض ثلاث محطات رئيسية لتنقية المياه وضخها ، الاولى في الملز ، والثانية في الشميسي ، والثالثة في منفوحة ، كما أنشئت محطة تنقية مبدئية في وادي الحاير لتقوم بتنقية المياه من الآبار في الوادي ، قبل دفعها في خط الأنابيب الموصل المياه الى محطتي التنقية في المنفوحة والشميسي . وتبلغ طاقة الضخ لهذه المحطات الثلاث حوالي ١٦٠ الف متر مكعب من المياه النقية الصالحة للشرب في اليوم الواحد ، وتوزع المياه على المستهلكين من الخزانات بواسطة محطات ضخ فرعية موجودة في كل محطة من محطات التنقية ، وتحتوي كل واحدة منها على عدة مضخات ذات ضغط عال مع وحدة ضخ احتياطية . وتحسبا للطوارىء الفنية المتعلقة بالكهرباء فانه يوجد في كل محطة مولد كهربائي احتياطي يعمل على الديزل يمكن بواسطته ، تشغيل المحطة لتنقية وتوزيع مقادير كافية من الماء اذا اقتضى الأمر .

برج مياه الرياض

اول ما يطالع القادم الى الرياض هو برج المياه الشاهق ، الفريد في تصميمه وشكله المفلطح كالفطر ، والذي أقيم في الحديقة المجاورة لمجلس الوزراء ، والبالغ ارتفاعه ٦١ مترا . يتكون البرج من خزانين اولهما رئيسي يستوعب ١٢ الف متر مكعب من المياه ، ويصل المستوى الأعلى فيه الى ارتفاع ٥١ مترا فوق سطح الأرض ، وثانيهما يعلو الخزان الأول ويستغل عندما تصل متطلبات الاستهلاك اليومي للمياه في المدينة ذروتها ، وهو يتسع لمقدار ٣٥٠ متر مكعب من المياه ، ويصل المستوى الأعلى للماء فيه الى ارتفاع ٥٨ مترا فوق سطح الأرض . والخزانان يقومان على عمود اسطواني يقف على قاعدة سفلى مؤسسة على الصخور الرسوبية الجيرية على عمق ١٧ مترا تحت سطح الأرض . وجدران الخزانين من خرسانة سابقة الاجهاد ، أما عمود البرج فمن الخرسانة المسلحة . ويتوسط عمود البرج محور يقوم عليه مصعدان كهربائيان . وقد أقيم تحت السقف القببي للبرج خزان علوي ، من تحته صالة انيقة ذات شرفات زجاجية محيطة بالبرج . وتقع أجهزة الضخ وتكييف الهواء ومولدات الكهرباء الاحتياطية في غرف تحت ارضية البرج .

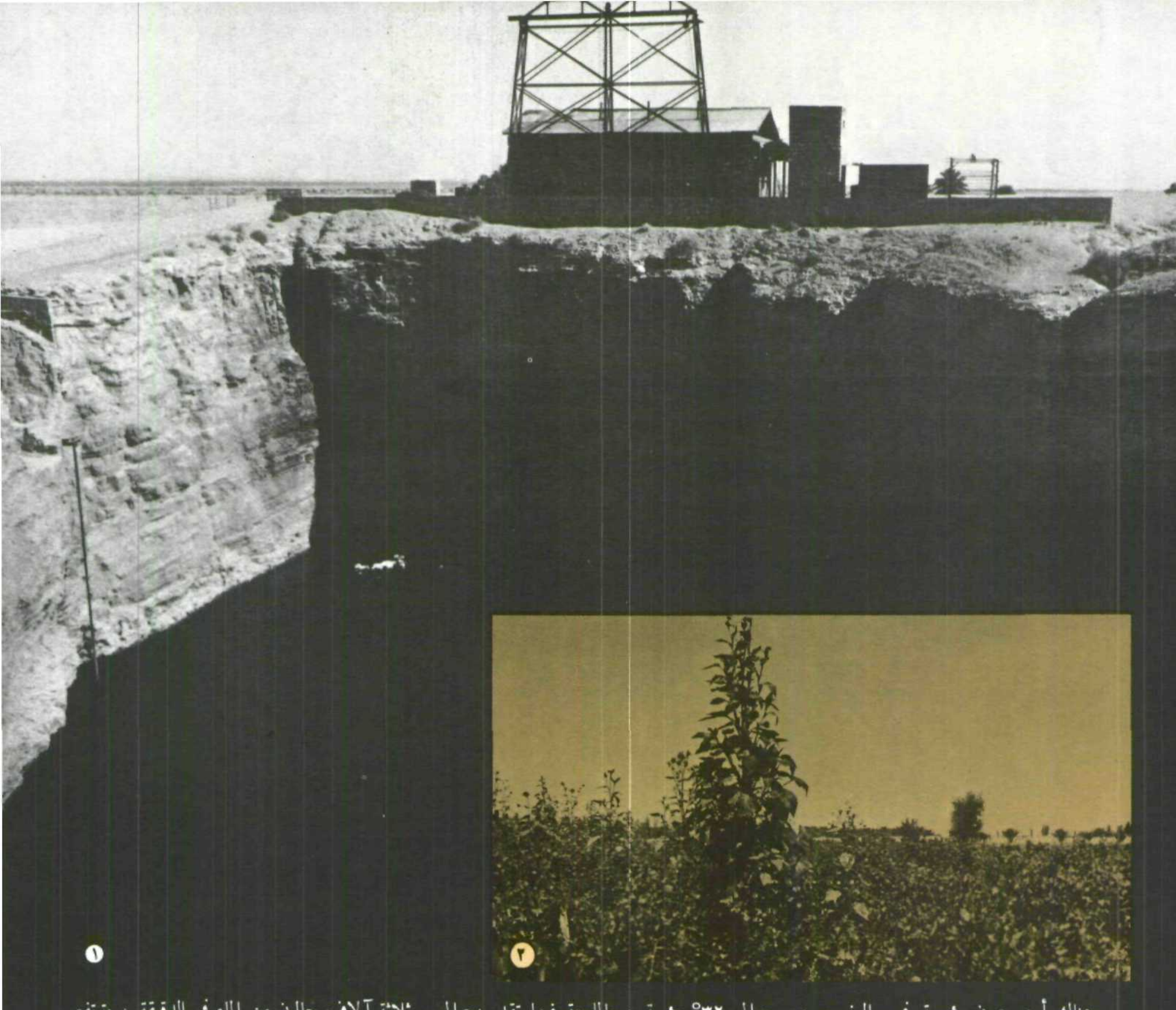
ان الغرض من انشاء هذا البرج هو المحافظة على مستوى ضغط الماء في شبكة التوزيع ومعادلة الفروقات في الاستهلاك اليومي . ويبلغ قطر الأنبوب الرئيسي الذي يتصل بالبرج ، والذي يقوم بدوره بالتوزيع على الشبكة ٨٠ سم . ويعتبر هذا الخزان أضخم خزان من نوعه في الشرق الأوسط ، وقد تم تشغيله في شهر اكتوبر من عام ١٩٧١ ، وبلغت تكاليف انشائه عشرة ملايين ريال .

المناطق المجاورة الغنية بالمياه

الخرج : يمكن القول أن منطقة الخرج من أغنى الأماكن بالمياه الجوفية في منطقة الرياض وقد حدث انخفاض كبير في منسوب المياه الجوفية هناك نتيجة للضخ المستمر ، الا أن وجود ثلاثة اودية كبيرة تقوم بتغذيتها بكميات كبيرة من مياه الأمطار والسيول ساعد الى حد ما على تعويض النقص الناتج عن الضخ . وهذه الأودية هي وادي حنيفة ، ووادي نساح ، ووادي الحوطة ، وكلها تنتهي بمنطقة الخرج .

تعتبر تربة الخرج الزراعية من أخصب الأراضي النجدية ، اذ تزرع فيها الحبوب المختلفة والأشجار المثمرة كالمشمش ، والدراق ، والتين والعنب وغيرها من الفاكهة . وأشهر بلدانها « الدلم » ، وهي المدينة الرئيسية للخرج في الوقت الحاضر ، وتقع على عين « فرزان » الشهيرة الثرة ، وأراضيها خصبة عامرة بزراعة النخيل والحبوب ، ويبلغ عمق الآبار فيها ما بين ٣٥–و٥٠ قدما ، وكذلك « السلمية » وهي بلدة صغيرة على بعد خمسين ميلا من الرياض ، وهي بقعة منخفضة كثيرة المياه والبساتين . وتبلغ المساحة الزراعية لمنطقة الخرج أكثر من (٧٥) الف دونم ، وبها أكثر من (٣٠) قرية .

بالاضافة الى شهرة الخرج بزراعة الخضروات وأشجار الفاكهة والحبوب ، تكثر فيها مزارع الأبقار والدواجن المختلفة كالدجاج ، والبط ، والديك الرومي ، والأوز العراقي . وتعتبر الرياض السوق الاستهلاكية الرئيسية لمنتجات الخرج من خضار وفاكهة ومنتجات الألبان . أما الفائض عن استهلاك الرياض فيصدر الى المدن الأخرى في المملكة .



وهناك أربع عيون رئيسية في الخرج ، يعتقد أنها تعود الى التكوينات الجيولوجية المسماة « ضرمة » من العصر الجوراسي الأوسط وتوجد المياه في فتحات كبيرة تشبه الكهوف موجودة في تجاويف الصخور الجيرية ذات الفتحات الكبيرة ، التي نتجت عن انهيار في التربة الرسوبية منذ القدم . وتبعد هذه الحفر او العيون حوالي ٥٠ ميلا عن الرياض ، وهي :

عين الدحل : وتبعد حوالي ستة كيلومترات من الخرج ، وعمقها حوالي ١٤٢ مترا . وقد قامت شركة الزيت العربية الأمريكية باجراء دراسات خاصة على هذه العين عام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ ، كما قامت بتركيب أربع مضخات لسحب المياه منها ودفعها الى المزارع . وما تزال ثلاث من هذه المضخات تعمل حتى اليوم . وتدفع هذه المضخات حوالي تسعة آلاف جالون من الماء في الدقيقة

حوالي ٣٢° مئوية ، والملوحة فيها تقدر بحوالي ٣٠٠٠ جزء في المليون .

عين سمحا : وتقع على بعد حوالي ٢٥٠ مترا من عين الدحل ، ويبلغ عمقها حوالي ١٢٨ مترا وقد جرت محاولة لضخ المياه منها عام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ ، بيد أنها شبه مهجورة الآن .

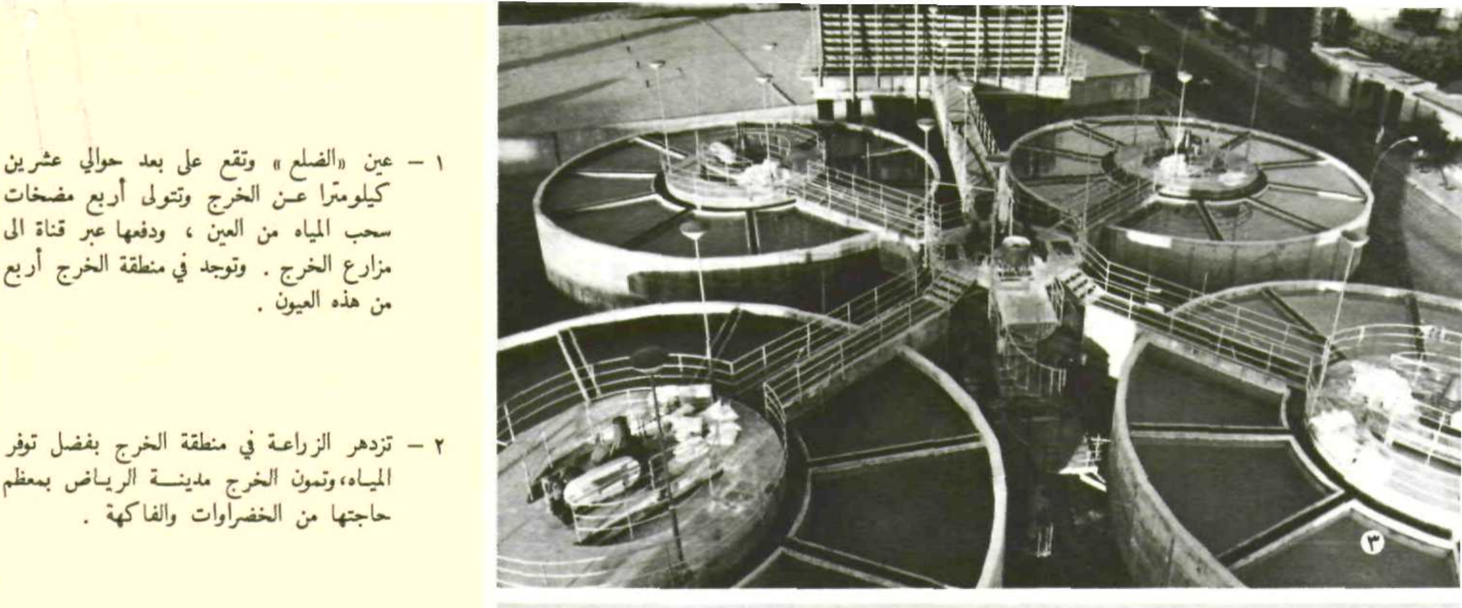
عين ام الخيّاش : وتقع على بعد حوالي كيلومترين الى الغرب من عين الدحل ، وهي من العيون القديمة في الخرج ، وعمقها حوالي ١٤ مترا وحرارة الماء فيها حوالي ٢٨° مئوية .

عين خفس دغرة : عمقها حوالي ٤٠٠ متر ، ويعتقد ان المياه تأتيها من تكوينات السليل ، وقد ركبت عليها منذ عام ١٩٤٧ ثلاث مضخات تدفع حوالي ١٢٠٠ جالون من الماء في الدقيقة الواحدة.

هذا ، وقد قامت وزارتا الزراعة والمياه ، والدفاع بحفر بئرين عميقتين في الخرج الى عمق

ثلاثة آلاف جالون من الماء في الدقيقة ، وترتفع المياه منهما الى السطح تلقائيا دونما حاجة الى مضخات . ومياه هاتين البئرين تفضل مياه عين الدحل لكونها أقل ملوحة منها .

الدرعية : وتقع على بعد حوالي عشرين كيلومترا الى الشمال الغربي من الرياض ، وهي مدينة لها تاريخ مجيد ، فقد كانت العاصمة الاولى لآل سعود ، ومنها انطلقت الدعوة الخيرة الرامية الى توحيد الجزيرة العربية والى صفاء العقيدة مما شابها في تلك الأيام من ادران . يحتضن وادي حنيفة الدرعية بين ضفتيه الذي يمتاز بتربة غنية صالحة لزراعة الفاكهة والخضروات على اختلاف انواعها وتعتمد الزراعة في المنطقة على الآبار الارتوازية التي يحفرها الأهلون الى أعماق تتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ متر . وتوجد في الدرعية ثلاثة سدود هي سد « صفار » على وادي صفار ، وسعته



١ – عين «الضلع» وتقع على بعد حوالي عشرين كيلومترا عن الخرج وتتولى أربع مضخات سحب المياه من العين ، ودفعها عبر قناة الى مزارع الخرج . وتوجد في منطقة الخرج أربع من هذه العيون .

٢ – تزدهر الزراعة في منطقة الخرج بفضل توفر المياه، وتمون الخرج مدينة الرياض بمعظم حاجتها من الخضراوات والفاكهة .

٣ – محطة تنقية المياه في الشميسي ، وتبلغ طاقة الضخ اليومية فيها ٦٠ ألف م٣ من المياه النقية .

٤ – نشطت الحركة العمرانية في مدينة الرياض ، حيث أخذت الأبنية الشاهقة تشق عنان السماء، ويتوقع أن يصل عدد سكان العاصمة في نهاية القرن الحالي الى حوالي مليون ونصف مليون نسمة.

٥ – تعمل وزارة الزراعة والمياه جاهدة لحل أزمة المياه في العاصمة ، والعمل جاد الآن في مد خط للأنابيب لنقل المياه من بئرين جديدتين في منطقة « صلبوخ » على بعد ٥٢ كيلومترا عن الرياض .



وادي غبيرة وسعته ٩٠ الف متر مكعب من المياه ، وسد « حريقة » على وادي حريقة وسعته (٨٠) الف متر مكعب من المياه .

ان دراسة مصادر المياه العميقة دراسة علمية دقيقة واستغلالها على أحسن وجه سيؤدي حتما الى توفير كميات هائلة من المياه لمنطقة الرياض والمناطق المجاورة لها ، وسيؤدي الى تقليل الاعتماد على كميات الأمطار التي تهطل خلال موسم الشتاء ، والتي لا تكفي البلاد بأية حال . وقد اتجهت وزارة الزراعة والمياه الى اقامة محطات لتحلية مياه البحر أقيمت على ساحل البحر الأحمر والخليج العربي بحيث يصبح في الامكان توفير كميات كبيرة من المياه المستخلصة من الآبار الجوفية السطحية والعميقة لاعمال الري وزيادة الرقعة المزروعة حاليا الى عشرة امثالها ■

يعقوب سلام – هيئة التحرير

الانسان موجود أخلاقي

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

كثيرا ما يقال ان الانسان لا يخرج عن كونه موجودا طبيعيا يملك بعض الدوافع ، ويصدر في سلوكه عن بعض البواعث ، ويهدف من وراء نشاطه الى اشباع بعض الحاجات . وليس في وسع أحد بطبيعة الحال — أن ينكر ان لدى الانسان حاجات عضوية يسعى دائما نحو اشباعها ، ومطالب « بيولوجية » يعمل جاهدا في سبيل تحقيقها . ولكننا لو نظرنا مثلا الى أحاسيس الالوان والأصوات التي تتوافر لدى الحيوان ، لوجدنا انها قد خضعت لدى الانسان لمبدأ روحي « Spiritual principle » على حد تعبير الفيلسوف الانجليزي « جرين H. Green » فاستحالت الى « ادراكات حسية » تختلف اختلافا كبيرا عن «الاحساسات» من حيث انها تنطوي على « معان » او « دلالات » يشعر بها الانسان شعورا مباشرا . وبالمثل ، يمكننا أن نقول ان لدى الانسان شهوات عضوية ، كشهوة الجوع أو شهوة العطش ، وهذه تمثل دوافع « بيولوجية » نلتقي بها لدى ادنى أنواع الحيوان . ولكن « المبدأ الروحي » الموجود لدى الانسان قد عمل على تعديل تلك « الشهوات » فأحالها الى « رغبات » ، وأصبح في وسع الانسان ان يدرك تلك الغايات الجزئية التي تكفل له اشباع تلك الحاجات ، كما صار في مقدوره أيضا ان يوجه نشاطه توجيها شعوريا واعيا نحو أمثال تلك الغايات أو الأهداف . وهكذا استحالت « شهوة الجوع » الى « رغبة في تناول الطعام » ، وأصبح في وسع الانسان ان يعرف مقدما أن من شأن الطعام أن يحقق له الاشباع المطلوب ، وأن يضمن له التغذية المنشودة للحفاظ على ذاته والقيام بواجباته . ويمضي « جرين » الى حد أبعد من ذلك ، فيقول ان « الخير » ليس هو ما يشبع بعض المطالب الحيوانية الجزئية ، بل هو ما يضمن لنا « تحقيق الذات » — ككل — تحقيقا يوفر للشخصية الواعية بذاتها اشباع رغباتها . ونحن حين نتحدث عن « الفعل الارادي » ، فاننا نعني به ذلك الفعل الذي يقوم به الفرد حين يوجه ذاته نحو تحقيق اية « فكرة » ناظرا الى مثل هذه « الفكرة » على انها « موضوع » يكفل له — ولو الى حين — اشباع احدى رغباته . وربما كان أهم ما يميز « المبدأ الروحي » لدى الانسان هو هذه المقدرة العقلية على التطلع الى الامام من أجل تحقيق اية فكرة من الافكار ، او من أجل العمل على بلوغ أية غاية من الغايات . وهنا يظهر دور « القيمة الأخلاقية العليا » في الحياة الانسانية : فان الموجود البشري هو الكائن الأوحد — بين سائر الكائنات الحية في الطبيعة — الذي يملك القدرة على التطلع الى « المستقبل » والنزوع نحو « حالة مقبلة » تصبح فيها « ذاته » أفضل مما هي عليه الآن « في الحاضر » .

ان من شأن « العقل » ، بوصفه القدرة الناطقة الواعية بذاتها ، أن يكشف لنا عن « القيم الاخلاقية » باعتباره المرحلة التالية من مراحل تقدمنا الخلقي ، حتى اذا قدر لنا — عن طريق الجهد الارادي — بلوغ تلك المرحلة ، عاد « عقلنا » فوضع نصب أعيننا مرحلة أخرى ، وهلم جرا . ومعنى هذا أن « القيم الأخلاقية العليا » لا تمثل هدفا معينا تبلغه الذات مرة واحدة والى الأبد ، بل هي تشير الى سبيل طويل ترتاده الذات في سعيها المتواصل نحو ضرب من الكمال الخلقي .

ومهما يكن من شيء ، فان الانسان — بين كائنات الطبيعة جميعا — أقدرها على مراقبة دوافعه ، والعمل على قمعها ، أو هو أحرصها على تنظيم بواعثه ، والاهتمام بابدالها أو اعلائها . وهذا هو السبب في اننا نقول عن الانسان انه الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يستبدل بالنظام الحيوي للحاجات نظاما خلقيا للقيم . ومهما كانت درجة الانحطاط الخلقي التي قد يبلغها الانسان في بعض الاحيان ، فانه لا بد من أن يبقى كائنا أخلاقيا يمزج الواقع بالقيم العليا ، ويجمع بين مستوى الغريزة ومستوى الضمير . والحق أن الانسان هو « موجود القيم » الذي لا يقنع دائما بما هو كائن ، بل يحاول في كثير من الاحيان تجاوز الواقع من أجل الاتجاه نحو ما ينبغي أن يكون . وحسبه أن يمضي الى الامام ، لكي يحقق من الافعال ما يضمن له العلو على مستواه الواقعي . ولا شك أن الحياة الانسانية الصحيحة انما تتمثل بكل معانيها في شعور الموجود البشري بذلك التعارض القوي القائم بين « الكائن الواقعي » بنقصه وضعفه ، و « الكائن المثالي » بكماله وسموه . صحيح ان هذا « الكائن المثالي » قد يبقى في نظر البعض مجرد « صورة خيالية » ، أو « حقيقة قصوى بعيدة المنال » ، ولكنه مع ذلك لا بد من أن يمارس تأثيره — البعيد أو القريب — على « حاضر »

الشخصية . وربما كان أهم ما يميز الانسان انــه ذلك الموجود الذي يشعر دائمـا بأنه في حالة عوز أو حاجة او افتقار ، فهو يحاول دائما أن يكمل ذاته ، أو أن يسد نقصه ، أو أن يسمو بنفسه . وقد يقنع الحيوان بما تقدمه له البيئة ، أو يعرضه عليه الواقع ، وأما الانسان فانه لا يمكن أن يتناغم تماما مع البيئة ، ولا يستطيع أن يركن الى الواقع وحده . ومن هنا فان « الممكن » يلعب دورا هاما في الحياة الانسانية ، الى جانب « الواقعي » لأن الانسان مضطر دائما الى أن يخلع على الاحداث « دلالات » يستمدها من صميم نواياه ومقاصده ، أو أن يكشف عما تنطوي عليه الوقائع من « معان » يدركها من خلال احساسه الخاص « بالقيم » . ولا غرابة بعد ذلك في أن يجهل الحيوان « الممكنات » ، وأن يبقى أسيرا — أو شبه أسير — للظاهرات ، بينما يعمل الانسان جاهدا في سبيل ادراك « القيم » ، ويسير على درب النشاط الخلقي من أجل تحقيق بعض « القيم الأخلاقية العليا » .. الخ .

ولــو أننا أردنا — الآن — أن نحدد مكانة الانسان في العالم بوصفه « كائنا أخلاقيا » ، لكان علينا أن نفصل في الخلاف الذي طالما ثار بين أنصار النزعة التشبيهية ودعاة النظرة النقدية . فعلى حين أن أهل النظرة التشبيهية يحكمون على العالم من وجهة نظر الانسان ، فيقررون أن كل شيء في الوجود يدور حول محور واحد ، ألا وهو الانسان ، وينادون بأن الموجود البشري هو « المركز » الذي يحيط به « الكل » ، نجد أن أهل النظرة النقدية — على العكس من ذلك — يؤكدون أن الانسان بالقياس الى الكل — لا يزيد عن كونــه جزءاً من كل . وبين هذين الموقفين المتطرفين ، تجيء الاخلاق وتؤكد ان هناك — الى جانب « التحديد الاونطولوجي — Ontological Determination » للعالم — تحديدا آخر « أكسيولوجيا — Axiological » يلعب فيه الانسان دورا أساسيا . ولسنا في حاجة الى القول بأية نزعة تشبيهية من أجل العمل على تأكيد « قيمة الانسان » ، وانما حسبنا أن نقول ان هذا « الكائن الاخلاقي » الذي نسميه بالانسان هو وحده الذي يحمل أمانة « القيم » . صحيح ان الموجود البشري قد يمثل كائناً فانياً في نطاق العالم ، ولكنه مع ذلك أقوى من في العالم ، لانه حامل لمبدأ أسمى حافل بالدلالة والقيمة ، وناقل الى العالم الواقعي تلك « المعاني السامية » التي يأخذ على عاتقه مهمة اكتشافها . وعلى حين أن الطبيعة مضطرة الى الخضوع لقوانينها الخاصة ، نجــد أن الانسان — وحده — هــو الموجــود الذي يستطيــع أن يضــع « قيمــاً » كانت بمثابــة امكانيات كامنــة في أعمــاق الوجود . وربمــا كان من أعظم ما تصنعه الاخلاق هو أنها ترد للانسان كرامته ، وتحرك ما فيه من عنصر « سمو » أو « جلال » ، وتسمو به فوق مستوى الحيوانية .

والحق ان « الشخص البشري » ، على حد تعبير « هارتمان » ، لا يقوم الا عند الحدود الفاصلة بين « التحديد الواقعي » و « التحديد المثالي » ، أو بين « العالم الأونطولوجي » و « العالم الأكسيولوجي » ، وكأنما هو النقطة التي يتلاقى عندها العالمان فيظهر عندئذ ما بينهما من تعارض واتحاد . فالشخصيــة البشريــة هي ملتقى هــذين العالمين ، أو هي حصيــلة التفاعل الذي لا بد من أن يتم بينهما . وربما كان من الحديث المعاد أن نقول ان للكائن الاخلاقي طبيعة مزدوجة : فان من المعروف ان حياة الانسان موزعة على مستويين مختلفين ، مما حدا « بكانت » الى التفرقة بين « الذات الطبيعية » و « الذات العاقلة » لدى الانسان . ولو اننا عنينا هنا بكلمة « العقل » عملية « تمييز القيم » ، لكان في وسعنا أن نقول ان لهذه التفرقة أهمية كبرى : لانها تدلنا على أن الانسان هو همزة الوصل بين « الطبيعة » و « العقل » او بين « الواقعة » و « القيمة » . ومعنى هذا ان هناك « وحدة » تتحقق في الانسان — أو من خلال الانسان — بين « العالم الأنطولوجي » و « العالم الأكسيولوجي » . ولكن « هارتمان » لا يتصور هذه « الوساطة » التي يضطلع بها الانسان على أنها عملية آلية تتم في نطاق النظام الطبيعي بل هو يقرر — على العكس من ذلك — ان الانسان حر في التوسط (بين العالمين) أو عدم التوسط ، وبالتالي فانه يحمل مسئولية السلوك الذي يأخذ على عاتقه القيام به في صميم العالم الاخلاقي . والحق أن الموجود البشري — في كل سلوكه العملي ، خارجيا كان أم داخليا — هو دائما حامل « القيم الاخلاقية » أو « اللاقيم » . واذا كان الانسان — في آن واحد — كائنا « أونطولوجيا » وكائنا « أكسيولوجيا » ، فذلك لانه موجود واقعي له وجوده الذاتي من جهة ، وموجود عاقل يملك في ذاته أعلى القيم الاخلاقية (أو نقائضها) من جهة أخرى . وهذا ما حدا ببعض فلاسفة الأخلاق الى القول بأن شخصية الانسان — في بنائها الأصلي — ليست مجرد شخصية « وجودية — Existential » بل هي أيضا شخصيــة « تقييمية — Valuational » . ومعنى هذا — بعبارة أخرى — أن ماهية الانسان — من الناحية الاخلاقية — انما تعتمد على مالديه من قدرة على حمل « القيم الاخلاقية » . ولعل هذا هو السبب في أننا لا نستطيع مطلقا أن نحدد شخصية الانسان — أعني طبيعته الاخلاقية — اذ اقتصرنا على النظر اليها من وجهة نظر أونطولوجية بحتة .. أجل ، فان الطبيعة البشرية ليست مجرد طبيعة أونطولوجية ، بل هي أيضا طبيعة أكسيولوجية : وليس يكفي أن نقول عن الانسان انه « موجود القيم » أو أنه « كائن تقييمي — Valuational » بل يجب ان نضيف الى ذلك أيضا انه « الكائن الاخلاقي » الذي لا يتحدد بوجوده كاملا الا من خلال علاقته بالقيم .

والواقع ان الانسان حين شرع يستخدم الطبيعة لتحقيق اغراضه الخاصة ، وحين راح ينظم غرائزه على صورة « قيم أخلاقية » و « نظم اجتماعية » ، فانه لم يلبث عندئذ أن جعل من نفسه « موجودا اخلاقيا » لا يحيا على المستوى الغريزي الصرف . فالقيم — أو المعايير — هي همزة الوصل بين التاريخ الطبيعي والتاريخ البشري . والاخلاق — او الانظمة الخلقية — هي المظهر الحضاري الحقيقي لحركة « التصاعد » التي يفرضها الموجود البشري على الطبيعة . وحتى لو نظرنا الى التقدم الصناعي نفسه ، لوجدنا انه لا يخرج عن كونه مظهرا من مظاهر ذلك النشاط الذي تقــوم بــه البشرية حــين تعمل على استئناس الطبيعة . وآية ذلك أن للانتاج الصناعي « قيمة خلقية » لانه ينطوي على « دلالات انسانية » تكشف عن سيطرة الانسان على الطبيعة . واذا كان الانسان قد أصبح يحيا في « بيئة حضارية » تزخر بالقيم الاخلاقية والروحية التي لا يعرفها الحيوان على الاطلاق ، فما ذلك الا لأنه قد أخذ على عاتقه ان يستخدم ما لديه من حرية وقدرة ابداعية في احالة « النظام الطبيعي » الى « نظام اكسيولوجي قيمي » ، فكانْ عملــه ذلك « ثورة أخلاقيــة » ، أوجدت حشدا جديدا من المعاني ، وعملت على صبغ الكون بصبغة عقلية روحية ■

د. زكريا ابراهيم — القاهرة

الحرم القدسي



بقلم الاستاذ محمود العابدي

لكل أمة من الأمم مفاخر تزهو بها وتثبت وجودها في التاريخ وتوضح ما بلغته من درجات في سلم الحضارة البشرية ، والحرم القدسي الشريف يحوي الكثير من الفن الاسلامي وهو مثل رائع في هذا الميدان من ميادين الحضارة الانسانية .

تعتبر قبة الصخرة في بيت المقدس في طليعة الاعمال الفنية العالمية . لذلك لا غرابة اذا رأينا الكثيرين من فناني العالم يزورونها ليجتلوا مظاهر الجمال فيها .. الجمال الذي طالما حفز الفنان الزائر على بسط لوحته واستعمال ريشته ، حتى اذا فرغ من رسم منظر من جهة معينة تحول الى رسمه من جهة أخرى . وهكذا لا يغادر هذا المغنى من مغاني الجمال والابداع ، الا وقد حصل على مجموعة يفاخر بها على أنها ثمرة طيبة لرحلته . وسيعتبرها أثمن بكثير مما صرف من وقت وجهد ومال . فاذا عرضت هذه الصور في الأسواق حرص السياح والزوار على شرائها ، وارسالها الى ذويهم وأصدقائهم كأجمل ذكرى لزيارتهم لهذا الأثر الرائع الجمال .

فاذا كان الأمر كذلك ، فما أحرانا ، نحن أصحاب هذا الأثر الغالي ، أن نستعرضه ونقف أمام نفائسه الفنية وقفات دقيقة ، لعلنا نجتلي ونتبين أهمية هذا العمل الفني النادر الذي تركه لنا الآباء والأجداد الأمجاد .

باب الأسباط

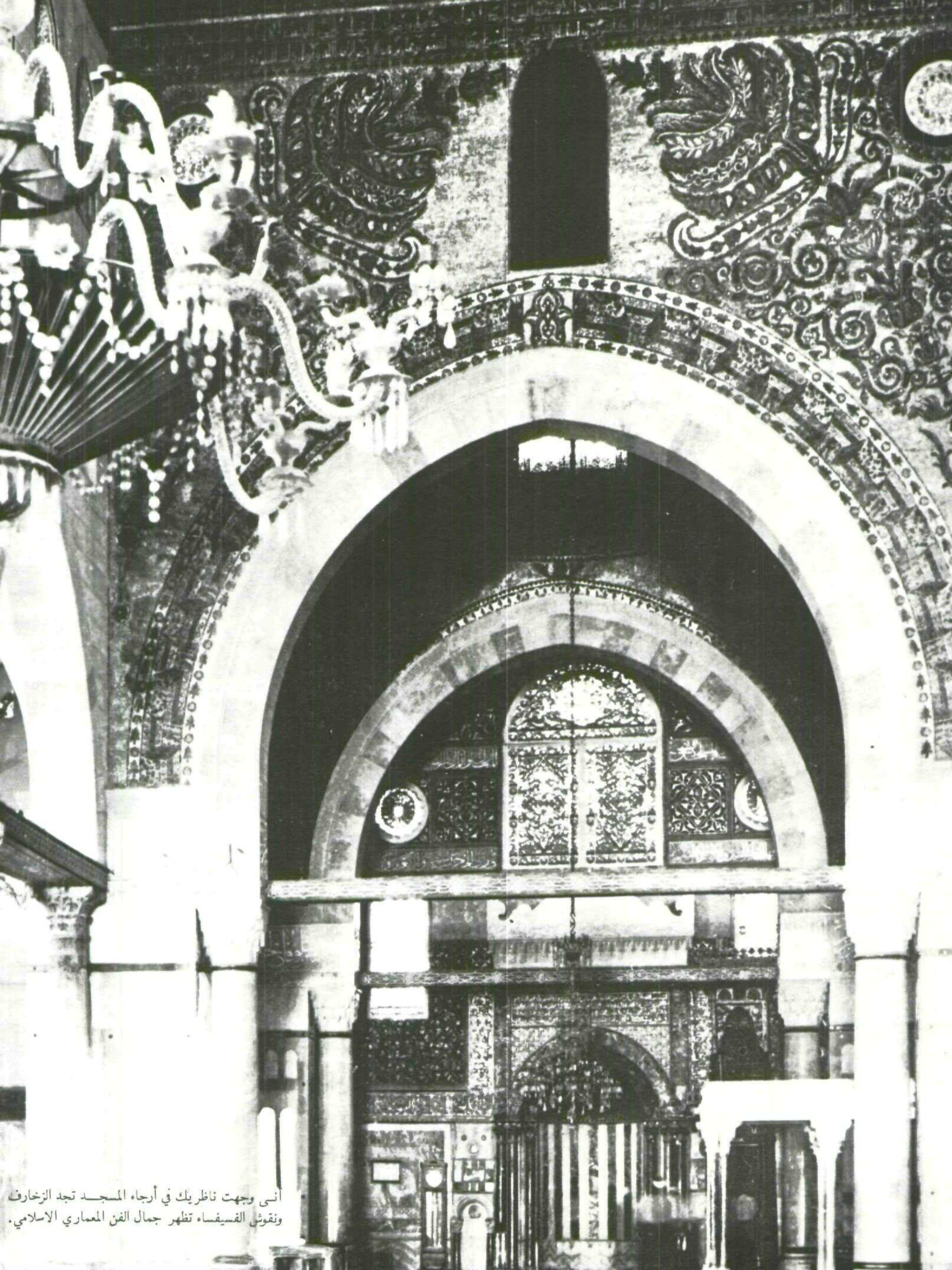
تنتهي رحلتنا من عمان الى القدس في موقع رأس العمود من الشرق ، لنشرف منه على الحرم



الشريف ، فيطالعنا القسم الشرقي من السور ، وما في خارجه من ذكريات تاريخية مثيرة ، تبرز في هذه القبة الشامخة . ونواصل سيرنا هابطين الى وادي « قدرون » ، ثم نصعد حتى نقف أمام باب « الأسباط » الشامخ ، وهو من بناء الملك الظاهر « بيبرس » خليفة « صلاح الدين ». وعلى طرفي الباب نشاهد حفرا بارزا لأسدين ، هما شعار بيبرس . ونرى هذا الشعار محفورا على جميع الأبنية في البلاد التي دانت له في مصر والشام والأناضول .

وعندما اراد السلطان « سليمان القانوني » بعد ثلاث مئة سنة تجديد أسوار القدس أبقى على هذا الباب تقديرا لبانيه الأول ، ونحن نضيف سببا آخر هو لجماله ، وكان السلطان سليمان قد تذوق الجمال وقدر قيمته من معلميه الذين هيأهم له والده السلطان « سليم » .

اذا اجتزنا هذا الباب ، لا نلبث أن نغير اتجاهنا الى اليسار في طريق جنوبي ، في الزاوية الشمالية الشرقية من الحرم الشريف . هنا تنفتح أمامنا ساحة واسعة تضم سدس مساحة القدس الداخلة ضمن الأسوار . نمشي في طريق مبلط زرعت على جانبيه أشجار الزينة ، ثم نرقى درجات تنتهي بأقواس ارتفعت على أعمدة رشيقة ، هذه الأقواس تسمى « الموازين » ، وتوجد في باقي جهات ساحة الصخرة الأربع موازين أخرى . ومن تحت هذا الميزان ، نلتفت الى الى الجهة الشمالية من الحرم لنرى عدة قباب ومآذن واروقة وأبواب ، أشهرها الباب الذي غير اسمه الى باب « فيصل » عندما دخل منه المرحوم الملك فيصل بن الحسين ، ملك العراق ،

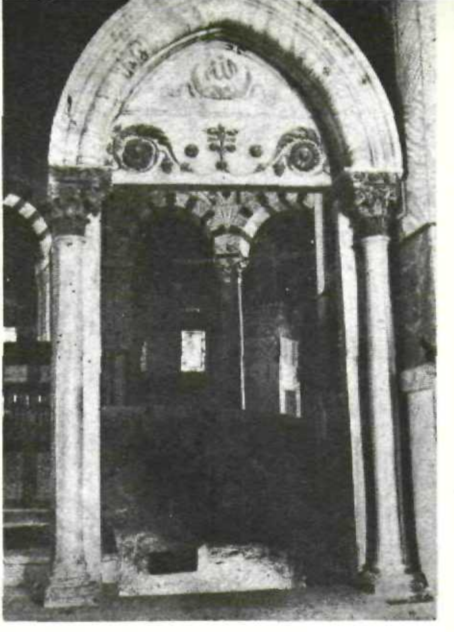


أنى وجهت ناظريك في أرجاء المسجد تجد الزخارف
ونقوش الفسيفساء تظهر جمال الفن المعماري الاسلامي.

لاول مرة سنة ١٩٣٣ . وها هي الاروقة الواسعة وما فوقها من مدارس ، تدل على ما بلغه المسلمون في عصر المماليك من تقدير للعلم . وأشهر هذه المدارس « المدرسة العمرية » التي كانت أيام الانتداب كلية « روضة المعارف الوطنية » .

نشاهد نوعين من المآذن : المربعة ، من عصر المماليك ، والمستديرة ، من أيام الحكم العثماني . هذه هي القباب التي كانت مخصصة للغرباء والمتصوفة وأهل العلم المنقطعين للتدريس احتسابا لوجه الله . نخطو قليلا فوق هذا الفناء المبلط ونرى فوهات الصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار ، البعض منها واسع جدا ، ولكل منها اسم خاص .

أمامنا قبة مرتفعة رائعة الجمال ، تسمى قبة « المعراج » ، وقد بناها أحد سلاطين المماليك.



مدخل الغار تحت قبة الصخرة .



مدخل المسجد الأقصى المبارك .

قبة الصخرة

ان جمال قبة « الصخرة » الماثلة أمامنا يحملنا على التوجه بسرعة اليها . نلتفت يمينا وشمالا التفاتة سريعة لنشاهد هؤلاء الناس الذين جاءوا لتأدية الواجبات الدينية او للمتعة الفنية أو حتى طلبا للهدوء الذي أصبحت المدينة الصاخبة تتطلبه .

نسرع الخطى نحو قبة « الصخرة » لنقف مدهوشين بهذا البناء الذي وصفه العلماء وأهل الفن ، فقالوا فيه : (١)

هارتمان : انها نموذج من التناسق والانسجام.

فيرغسون : لم أكن أتوقع مطلقا أن أرى مثل هذه العظمة والفتنة ، في هذا البناء الذي فاق تاج محل وغيره . وان ما فيه من التناسق والجمال الذي لا نظير له ليفوق كل أثر آخر في العالم .

هايتر لويس : ان قبة الصخرة أجمل الآثار التي خلدها التاريخ .

فان برشم : لعل عظمتها وجمالها هما في تخطيطها وتصميمها ، من بساطة وتناسق . حقا انها مفخرة العمارة الاسلامية .

كرزويل : لقبة الصخرة المشرقة أهمية ممتازة في تاريخ العمارة الاسلامية ، فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول أن يدرسها من العلماء .

غوستاف لوبون : انه أعظم بناء يستوقف النظر .. ان جماله وروعته مما لا يصل اليه خيال الانسان .

والكل يجمعون على أن قبة الصخرة هي أقدم نموذج لفن العمارة الاسلامية ، وما تزال تتحدى الأجيال ، وقد أمر ببنائها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في سنة ٧٢هـ (٦٩١م) .

ولقد كان هذا المسجد منذ بنائه الى يومنا هذا موضع الاهتمام والعناية من قبل المسلمين جميعا فقد طرأ عليه في مختلف الأزمنة والعصور بعض الوهن في أجزائه وزخارفه وجدرانه ، من جراء الزلازل وعوامل الطبيعة الكثيرة ، فهب المسلمون ، ملوكا وحكاما وشعوبا وأفرادا ، لاصلاحه والعناية بهذا التراث الاسلامي الخالد ، ففي عهد الخليفة العباسي المأمون أصاب المسجد بعض الخراب ، فأمر فورا بترميمه عندما زار القدس . وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي سقطت بعض أجزاء القبة نتيجة لزلزال وقع آنذاك ، فجرى ترميمها في خلافة ولده الظاهر .

وقد توالى العمران في عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ، ولم ينقطع أمر التعمير والاصلاح على توالي الأيام والسنين ، فالنقوش المحفورة على جدرانه تحمل أسماء الخلفاء والملوك والأمراء الذين تطوعوا في كل مناسبة بالمحافظة على هذا الأثر الاسلامي الخالد ، ليكون شاهدا للمسلمين والعرب على ما بلغوه من حظ وافر في الهندسة والزخارف وفي تثبيت الفسيفساء ورصفها .

والآن نطوف بهذا البناء المثمن الشكل والذي يبلغ طول كل ضلع منه عشرين مترا وارتفاعه عشرة أمتار . نصف الارتفاع السفلي مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل . ونصفه العلوي مغشى بترابيع من القاشاني الازرق . وقد كتبت عليه سورة « يس » بالابيض . وكان قد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني سنة (١٥٦١م) .

وفي هذه الواجهات الثماني عدة نوافذ فيها الزجاج الملون الذي سنصف جماله من الداخل . نوالي طوافنا حتى نأتي الى الباب الغربي ، ويقابله عن اليمين الميزان الغربي الذي يوصل الى باب القطانين . ومنه يصل الناس الى الحرم ، فاذا درنا نحو الجنوب شاهدنا الباب الجنوبي وهو أغنى أبواب الصخرة بالنقوش . ومنه يؤدي الميزان الجنوبي الى المسجد الأقصى . وكذلك الباب الشرقي الذي تعلو للشرق منه قبة « السلسلة » التي كانت النموذج الاول الذي بنيت عليه قبة « الصخرة » .

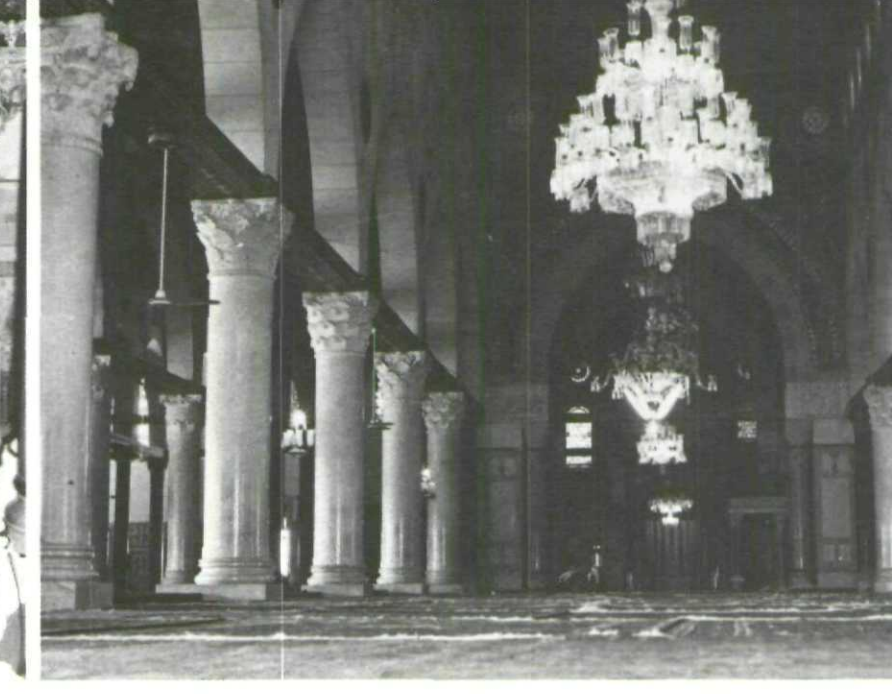
نوالي طوافنا حتى نعود الى الباب الشمالي الذي واجهناه اول وصولنا الى فناء الصخرة . فوق هذه التثمينة الخارجية سطح مائل ، يتدرج في الارتفاع من أطراف التثمينة حتى يتصل برقبة القبة . ترتفع القبة على مستوى الفناء عشرين مترا ، ويرتفع في أعلاها هلال نحو أربعة أمتار ، وقد غطيت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص القابل للتمدد . كما أن لونه لا يتغير مهما طال عليه الأمد . أما اليوم فقد صفح السقف بصفاح الألومنيوم المطلي بالذهب . حصل ذلك التبديل بعد الاصلاح الذي جرى على أثر اصابتها بقنابل اليهود في حرب سنة ١٩٤٨ .

قبة الصخرة من الداخل

ندخل مسجد الصخرة من الباب الشمالي ، ونقف متأملين مندهشين لنعرف براعة المهندس الذي شيد هذا البناء ، وجعل الداخل من أي باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع

---

(١) عارف العارف : تاريخ قبة الصخرة — القدس .



البهو الأوسط في المسجد الأقصى المبارك .

محراب المسجـد الأقصى ويظهر الى يمين الصورة منبر نور الدين الذي يعد مـن أبدع التحف الفنية الاسلامية وقد أحرق في سنة ١٩٦٩ .

ما في داخل البناء من الأعمدة والدعائم ، فتظهر أمامه مباشرة ، لا يحجبها عن نظره أي حاجب ، نخطو الى الأمام في تثمينه ، يقف فيها ١٦ عمودا وثماني دعائم ، الى تثمينة أخرى قامت فوقهما رقبة مستديرة مكسوة بالفسيفساء ، ذات الفصوص المتراصة بأشكال زخرفية ، قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة ، تميل الى زرقة هادئة غاية ما تكون جمالا وروعة ، وفي وسط الرقبة كرنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة فوق ١٦ شباكا مكونة من الخارج من بلوكات من القاشاني المزخرف ، بفتحات في وسطها ، ومن الداخل مكسوة بالرخام المعرق ، وقد بنيت بحيث تأخذ شكلا دائريا . وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون ، تحمل أربعة عقود كسيت بترابيع من الرخام الأبيض والأسود .

وبين الجزء الدائري من مبنى قبة الصخرة والمثمن الخارجي مثمن أوسط ، يتكون من ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشر عمودا رخاميا ملونة مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها عمودان . ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ، ذات الرسوم النباتية المختلفة ، بألوان متجانسة ومذهبة . وبين الأعمدة أوتاد خشبية مكسوة بالبرنز بنقوش كلاسيكية مذهبة . وهذا المثمن الأوسط يفصل الرواق الأوسط عن الرواق الخارجي . ويغطي هذين الرواقين جمالون من الخشب عليه الواح من الرصاص من الخارج ، ومبطن من الداخل بألواح خشبية عليها نقوش مختلفة .

نخطو الى الأمام لنقف أمام الباب الغربي وننظر الى زجاج احدى النوافذ من الجانب الشمالي ، لنرى منظرا يختلف عن المنظر الذي رأيناه من الأمام ، وعما سنراه من الجانب الجنوبي . وجميع الشبابيك الجصية المزججة يختلف كل منها عن الآخر في الزخارف والألوان .

استطاع البناء العربي أن يكسر الاضلاع الثمانية الى أنصاف اضلاع ، فحصل بذلك على ستة عشر ضلعا قصيرا ، نصب عليها رقبة تشبه الطبل في شكلها . وفوق هذه الرقبة التي انتصبت فوق التثمينتين ركبت القبة ، وهي قبة مزدوجة ، خارجية وداخلية ، صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان مختلفة ، وقد كتبت عليها آية « الكرسي » . وتنفذ من جدرانها اربعون نافذة تعلوها ٥٦ طاقة ، أقل اتساعا من النوافذ ، وتطل على داخل المسجد . وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء مصلحيها . ففي اصلاح صلاح الدين نقرأ هذا النص : « بسم اللـه الرحمن الرحيم امر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا الملك الناصر العالم العادل (العالم ؟) صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته ، وذلك في شهور سنة ست وثمانين وخمسمئة » .

ومعظم النوافذ المزينة بالذهب صنعت بأمر السلطان سليمان القانوني . كما جدد أكثر أبوابها وجاءها بقطع القاشاني والزخارف من مختلف بقاع الأرض . نقرأ على الباب المسمى « باب الجنة » كتابة نقشت بالذهب على لوحة نحاسية ، هذا بعض من نصها : « قد جدد بحمد الله قبة الصخرة من بيته المقدس الفائقة بنائها في ظل دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنصر والبرهان أبي الفتوح سليمان خان » .

الصخرة

تحت هذه القبة صخرة برزت نحو المتر عن الارض بشكل غير منتظم . يبلغ طولها نحو ١٨ مترا وعرضها ١٣ مترا ، واحيطت بحاجز خشبي حفر حفرا فنيا رائعا .

وبينما نحن ندور حول الصخرة في هذه التثمينة ، مأخوذين بجمالها ، ولا سيما بفصوص الفسيفساء وزجاج النوافذ الذي يأخذ بمجامع القلوب ، نقرأ كتابة كوفية هذا نصها : « بنى هذه القبة عبد الله — عبد الملك بن مروان — امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه » .

وفي زمن المنصور حصلت زلزلة صدعت هذا البناء ، فأمر بتحويل الأبواب الفضية والذهبية الى نقود صرفت في تعمير هذا البناء الغالي . كما أجرى المأمون عليها عدة اصلاحات نصت

عليها الكتابة بين البابين الشمالي والشرقي سنة ٢١٦هـ .

واثناء زيارتنا هذه نصل الى باب في الجنوب الشرقي تحت الصخرة نقف مأخوذين بجمال القوس الذي أقيم على مدخله . ندخل الباب الجميل ونهبط ١٦ درجة توصلنا الى « الغار » ، وهو كهف ابعاده ٤,٥ × ٤ أمتار وله سقف يرتفع ثلاثة أمتار ، وفيه ثغرة سعتها نحو المتر . وفي الداخل محرابان يطلق على كل منهما اسم ابراهيم والخضر عليهما السلام .

نخرج من الباب الجنوبي من مسجد الصخرة ، ونتقدم الى الأمام لنصل الى الميزان الجنوبي . وقبل أن نهبط سلمه ، نرى على يميننا منبرا صنع من الرخام البديع وتعلوه قبة رائعة الجمال . وقد أقيم ليكون منبرا للمبلّغ الذي يسمع صوت الامام في الأقصى ، فيبلغه بصوته العالي ليسمعه المصلون في مسجد الصخرة .

المزولة

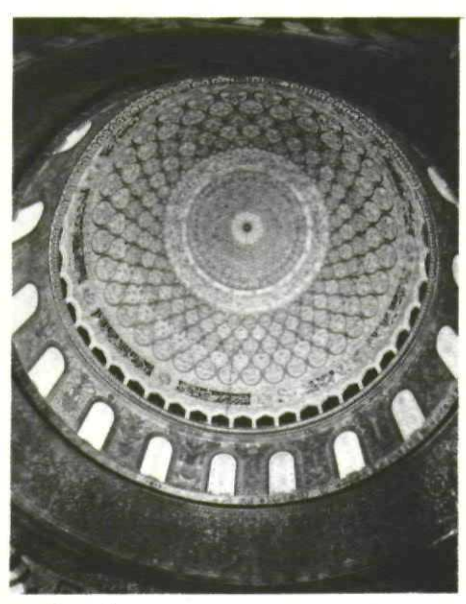
نهبط الدرج حتى نصل الى بركة تسمى « الكأس » ، يتوضأ منها المصلون . واذا التفتنا الى الوراء شاهدنا تخطيطا على الصفحة القائمة فوق أعمدة الميزان ، هو رسم ساعة ، شمسية يستدل بها المؤذن على وقت الظهر ، وذلك عندما تكون الشمس في وسط السماء ثم تأخذ في الزوال نحو الغرب ، لذلك تسمى « المزولة » .

المسجد الأقصى

ها هو المسجد الأقصى يقابلنا بأبوابه السبعة ، ونلاحظ أن أوسطها هو أعلاها ، ومنه نلج الى البهو الأوسط الذي يعلو عن الأبهاء الجانبية . ومعظم الأبنية الحالية في الأقصى هي من أعمال الملك عيسى بن الملك العادل أخي صلاح الدين والتي يرجع عهدها الى سنة ١٢٣٦م .

يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ مترا ، وعرضه ٥٥ مترا . وقد جددت جميع اعمدته القديمة ، وبذلك تم توحيد أشكالها ، وعددها ٥٣ عمودا ، بينها ٤٩ سارية مربعة ، بنيت من الحجارة . وارتفاع الأعمدة والسواري خمسة أمتار ، قامت فوقها أقواس حجرية اتساع كل منها تسعة أمتار يربط بين الأعمدة ، شدادات من النحاس .

نذرع هذه الابهاء الرحبة الى أن ينتهي بنا المطاف الى تحت القبة القبلية التي ترتفع ١٧ مترا عن الارض ، وقد غطتها الفسيفساء الجميلة والتي تضم مظهرا جميلا من مظاهر الفن .



قبة الصخرة من الداخل ، وقد زينت بأجمل أنواع الزخارف التي تظهر روعة الفن الاسلامي .

عندما استرد صلاح الدين بيت المقدس من الافرنج سنة ٥٨٣ (١١٨٧م) بذل كل ما في وسعه لتحسينه ورصفه وتدقيق نقوشه . فاحضر من الرخام ما لا يوجد مثله ، ومن الفصوص المذهبة من صنع القسطنطينية ، وكان قد أخذ في جمعه منذ أن وطد العزم على استرجاع البلاد .

ولقد جدد صلاح الدين محراب المسجد ، وزينه بالفسيفساء . وكتب بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس—عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣هـ وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة » .

منبر الأقصى

ولما امر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى ، قيل له ان نور الدين محمود كان قبل عشرين سنة قد عمل بحلب منبرا ، امر الصناع في المبالغة بتحسينه واتقانه . وقال هذا ما عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين ، ولم يعمل في الاسلام مثله . فأمر صلاح باحضاره ، فحمل من حلب ونصب بالقدس . وقد حفرت على جوانبه العبارات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته ، المجاهد في سبيله ، المرابط لاعداء دينه — الملك العادل نور الدين خادم الاسلام والمسلمين ومنصف المظلومين من الظالمين ، أبو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ناصر ، أمين المؤمنين — أعز الله انصاره وادام اقتداره وأعلى مناره ونشر في الخافقين الويته واعلامه وأعز اولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقره بالنصر . وارحمنا برحمتك يا رب العالمين وذلك سنة ٥٦٤هـ .

والمحراب مصنوع من خشب ارز لبنان المنقور والمرصع بالعاج والصدف ، حتى جاء من أجمل منابر الدنيا ، وكتب على يمين الخطيب من ناحية المحراب : « **بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة** » .

وعلى شمال الخطيب من الجهة الغربية : « **بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين .** »

وحول المحراب كتبت آية الاسراء : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو البصير .** » وآية أخرى هي : « **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا يتخذوا من دوني وكيلا** » .

في ساحات الحرم

واذا ما أجلنا النظر في ارجاء الحرم وساحاته رأينا محاريب باسماء كثيرين من الأنبياء والصالحين . انا في مكان رحب هادىء جميل جليل . فما اعظمها من متعة روحية ، وما اشد حاجة العالم اليها .

لقد أكثر سلاطين المماليك من بناء المساجد والمدارس واسبلة الماءفي القدس ، وغالوا في تزيينها وتجميلها ، حتى جاءت آيات في الفن الجميل . وقد بلغت زخرفة الأبواب العالية مبلغا لا يضاهى من الأناقة والجمال . كما أخذت الكتابات تشغل كل فراغ على الطراز زخرفا قائما بذاته ، وذلك يعني ان الحروف اصبحت نوعا من أنواع الزينة . وقد اتخذ كل سلطان منهم شعارا خاصا يعرف « بالرنك » نقشه على ابنيته . وزين هؤلاء السلاطين الواجهة الأمامية بحجارة ملونة متناسقة ، وظهرت « المقرنصات » في أعالي الأبواب والنوافذ ■

محمود العابدي - عمان

عطيل

شخصية غير شكسبيرية

بقلم الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار

قرأت في « قافلة الزيت » تعقيب الصديق الاستاذ عبد الرحمن صدقي على ما كتبته بهذه المجلة الغراء تعقيبا على مقاله « شكسبير والشخصية العربية » المنشور فيها ايضا، وعجبت من خروج الصديق على ما عرفته فيه من توخي الصواب. فهو يقول في تعقيبه :

« ونحن بادىء بدء نحب ان نلفت نظر الاستاذ المعقب الى تعبير ربما يكون قد فاته الالتفات اليه في فاتحة مقالنا — وان نقله عنا في مقاله — وهو قولنا عند ذكرنا للمسرحية ان شكسبير « ادار موضوعها على ما أسماه عطيل القائد العربي في فينيسيا ، فان عبارة « ما اسماه » واضحة الدلالة على ان عطيل اسم اختاره شكسبير لبطل مسرحيته . وان شخصية عطيل لا يجدي البحث في اسمها ، ولا يمكن ذكر نسبتها كما يطالبنا الصديق ، لسبب واحد هو انها شخصية شكسبيرية من صنع الشاعر المسرحي وليست شخصية تاريخية . ومن ثمة فلا موضع لكل هذه التساؤلات » .

« وتوكيدا لهذه الحقيقة نذكر ان الباحثين المتخصصين في دراسة شكسبير لم ينتهم في اهتمامهم لمسرحية عطيل — التي كتبها الشاعر سنة ١٦٠٤م فكانت الوحيدة التي اطمأن الى كمالها فلم يعد بالتنقيح اليها — ان يبحثوا عما اذا كان من افراد البحر في جمهورية البندقية الذين تولوا حكم قبرص من هو عربي او مغربي « Moor » (وهو الاسم الذي يطلقونه على كل العرب في شمال افريقية) » .

والاستاذ صدقي يقول الشيء ونقيضه . فهو يدعي في اصرار ان عطيل عربي ، ويكرر ذلك في مواضع كثيرة من مقاله الاول . ويدعي ان صفاته — كما رواها شكسبير — عربية خالصة ، ولا يمكن ان يشترك فيها غير العرب . ودليله ان شخصية عطيل من مبتكرات شكسبير وليست شخصية تاريخية . فهو يثبت لعطيل شخصيته العربية بصفاتها البارزة وسماتها الواضحة ثم يقول : انها شخصية شكسبيرية ومن صنعه .

وهذا تناقض لا شك فيه في هذا الموضع ، ومن الغريب ان يزعم هذا الزعم ، فشخصية عطيل ليست من صنع شكسبير ، فاسم عطيل موجود ومعروف في عصر شكسبير ، وحسبنا برهانا ان الاستاذ صدقي يثبت ذلك في تعقيبه اذ يقول :

« ان هذا الاسم « اوتيللو » وارد في قصة ظهرت في عصر شكسبير اسما لاحد الفرسان الالمان من فرقة الخيالة التي انشأها « ماكسميليان » الاول امبراطور المانيا (١٤٩٣ — ١٥١٩م) فكان ما كان من اختيار شكسبير هذا الاسم » .

فالاستاذ صدقي يعترف بان اسم عطيل ليس من صنع شكسبير .

وأما شخصية عطيل فهي مثل اسمه ليست من صنع شكسبير ، ولا تعد « شخصية شكسبيرية » فقد سبقه اليها غير واحد من الروائيين والباحثين ، والقصة كلها موجودة قبله ، فقد وردت القصة بأبطالها في كتاب « هيكاتوميثي — Hecatomithi » المنشورة في صقلية سنة ١٥٦٥م ، وترجمت الى الانجليزية ، وطبعت فيها لاول مرة سنة ١٥٩٥م كما ترجمت قبل هذا التاريخ الى الفرنسية والاسبانية .

فشخصية عطيل ليست شخصية شكسبيرية بحال من الاحوال ، فهي معروفة بسماتها في قصص « سنثيو » المجموعة بكتاب « هيكاتوميثي » وكذلك القول في الابطال الآخرين مثل : « ياجو » و « ديدمونة » ، وان لم يرد اسم « ياجو وعطيل » فيها ، ولكنهما وردا بصفاتهما وعلاماتهما الفارقة .

وقصة عطيل ليست خيالا محضا من صنع شكسبير ، وفضله فيها انه نقلها بقلمه وابدع في هندسة بناء القصة ، ولكن القصة موجودة ومعروفة قبل شكسبير ، والحوادث التي تضمنتها مسرحية عطيل لشكسبير حوادث تاريخية دارت في سنة ١٥٧٠ وهي السنة التي تم فيها استيلاء الترك المسلمين على قبرص واستردادهم اياها من من البندقيين .

وما دامت حوادث القصة تاريخية فان في الوسع ان يعد عطيل شخصية تاريخية .

وكلمة « Moor » التي وردت في اسم المسرحية « Othello, The Moor of Venice » التي فهمها الاستاذ على أنها الاسم الذي يطلقونه على كل العرب في شمال أفريقية هي التي جعلته يضطرب ويزعم أن « عطيل » عربي ، ويترجم عنوان المسرحية هكذا : « عطيل القائد العربي في فينيسيا » وهي ترجمة خاطئة صوابها : « عطيل مغربي البندقية » .

وكلمة « Moor » التي وردت في اسم المسرحية لا تعني عربيا على الاطلاق ، وانما تعني بالدقة « مغربيا » وليس غير .

ففي معجم أصول اشتقاق كلمات اللغة الانجليزية لمؤلفه « Skeat » ان كلمة « Moor » تعني مواطنا من شمال أفريقية ، ويستند ذلك الى أن اللاتينية والفرنسية تؤكدان هذا المعنى .

ويستند « Skeat » ايضا على كتاب « Minsheu » (طبعة ١٦٢٧) حيث تعريف « Moor » يرد على أنه شخص من موريتانيا ، أو « Moor » بمعنى أسود ، أو زنجي .

وفي اللاتينية : « Moor » هي « Mourus » ايضا ، وجمعها « Mouri » وتعني « The Moors » أو من هم من سكان موريتانيا « Mouritania » . وهذا وارد في « New Latin Dictionary » وفي « Oxford English Dictionary » ان كلمة « Moor » باللاتينية هي « Moure » و « Mourus » واحيانا تكتب « Morus » وتفسير هذا المعجم للكلمة ما ترجمة نصه :

« الكلمة في التاريخ القديم تعني مواطنا من مواطني موريتانيا ، وهي منطقة في شمال افريقية تطابق اليوم اجزاء من الجزائر و « Morocco » (المغرب) وفي العصور التالية أصبحت كلمة « Moor » تشير الى من هم مزيج من عنصري العرب والبربر الذين يشكلون معظم سكان شمال غرب أفريقية الذين فتحوا اسبانيا في القرن الثامن الميلادي .

وفي العصور الوسطى وحتى القرن السابع عشر كانت الفكرة ان الـ « Moors » يفترض فيهم أن يكونوا من السود او داكني البشرة غالبا ، ومن ثم جاءت كلمة « Moor » بمعناها الآخر وهو زنجي ، ومع ذلك كان معترفا بوجود « Moors » من اللون الأبيض » .

وفي تفسير آخر يضيف معجم أكسفورد معنى آخر وهو أن « Moors » يراد بهم من هم على دين محمد (صلى الله عليه وسلم) وبخاصة من هم من سكان الهند ، ويشير الى انجليزي غير دينه المسيحي فصار ممن يطلق عليه كلمة « Moor » .

وفي المعجم الموسوعي الجديد « وبستر — Webster » طبعة سنة ١٩٧٠ ان « Moor » اسم للسود وذو البشرة الداكنة ، والمسلم في السواحل الشمالية من أفريقية .

ومن كل هذا يفهم ان تخصيص الاستاذ صدقي كلمة « Moor » بالعرب كلهم في شمال افريقية غير صحيح ، فالكلمة تطلق على سكان تلك المنطقة الواقعة غرب اسبانيا سواء أكانوا عربا أم غير عرب ، فهي تطلق على العرب ، وعلى البربر ، وعلى المسلمين دون نظر الى أجناسهم الاصيلة ، كما تطلق على السكان من اليهود أيضا ، واليهود الذين يسكنون تلك المنطقة يعرفون ، « بالموريسكوس Moriskos » .

وفي الموسوعة الفلسطينية المسماة « الارض المقدسة » ما يلي : « موريسكوس مشتقة من كلمة « Mours » ، وهو الاسم الذي يطلق على سكان المغرب العربي ، مما يؤخذ دليلا آخر على تأثر اليهود بالصفات الجنسية التي عاشوا بها ، ففيهم — اذن — دماء عربية وبربرية » .

ويؤكد ما جاء في الموسوعة الفلسطينيـــة ما جاء في كتاب « الاجناس والتاريخ « Les races et l'histoire » تأليف العلامة « اوجين بتار » ، اذ يقول :

« ونرى في يهود اوربا الشرقية : تركيا ، اليونان ، البوسنة ، بلغاريا .. الخ عددا كبيرا من اليهود المطرودين من اسبانيا اثناء الاضطهادات الدينية في سنة ١٤٩٢ كما أنهم يلقبون أنفسهم بلقب « موريسكوس — Moriskos » ويربو عددهم على ٣٠٠ ألف فرد بقليل » (١) .

فالاستاذ صدقي لم يراع الدقة عندما ترجم كلمة « Moor » التي جاءت في اسم مسرحية شكسبير بالعربي ، وهذه الترجمة هي التي جعلته يدعي ان « عطيل » عربي ، وان شكسبير عندما صور هذه الشخصية كان يصور الشخصية العربية .

وهذا خطأ في التاريخ وخطأ في الترجمة ، وان الترجمة الصحيحة لكلمة « Moor » هي « مغربي » وليس غير في هذا الموضع ، وهي ترجمة الاستاذ العقاد للعنوان « Othello, the Moor of Venice » ، اذ قال : « عبد الله مغربي البندقية » ، وهي الترجمة الصحيحة .

والاستاذ منير البعلبكي ترجم الكلمة في معجم « المورد » بما نصه :

١ — « أ » المغربي . وبخاصة أحد فاتحي الاندلس المسلمين (في القرن الثامن ب.م.)

«ب » البربري ، شخص من البربر (٢) المسلم»

والاستاذ صدقي يؤكد عروبة عطيل في غير موضع من مقاله الاول ، وعلى سبيل المثال :

« عطيل القائد العربي في فينيسيا » .

و « سواد لون القائد العربي عطيل » . و « ان القائد العربي الذي عشق « ديدمونة » الصبية الشقراء » . و « اياجو البندقي وعطيل العربي الخ »

ثم يناقض نفسه في مقاله الثاني ، اذ يقول :

« ان المجال الذي كان أمام شكسبير لاختيار اسم بطله العربي كان بعيدا عن المجال العربي »

ونحن لم ندع ان « اوتلو » عربي ، ونفينا عروبته ، وفي معرض ردنا على الاستاذ صدقي قلنا : « لو اراد الاستاذ صدقي حجة اقرب الى الواقع والتخصيص من حجته لكان في اسم « عطيل » بحالها ، ولصلحت ان تكون الحجة الاولى ، لان الاسم يدل على جنس المسمى غالبا ، ومن اليسير أن يذهب كاتب الى ان اسم « عطيل » عربي . »

وهذا يدل على نفينا عروبة « عطيل » وانه « العربي » ونحن لم نستدل بالاسم على ذلك . وانما اردنا أن ننفي ما ادعاه ، ولو كان الاسم عربيا حقا ، لان سياق القصة وتصوير شخصية عطيل وبوادر لسانه وأقواله تثبت أنه ليس عربيا وان كان في صفاته النبيلة ما يشترك فيها مع العرب ، لانها صفات انسانية ، ومتى كانت الصفات كذلك فهي صفات عامة يشترك فيها بنو البشر دون ان تكون الصفات الانسانية وقفا على جنس .

فالشجاعة والكرم في قمة الصفات الانسانية وفي صميمها ، والعرب قد اشتهروا بهاتين الصفتين العظيمتين ، ومع هذا لم يتفرد بهما العرب ، لانهما صفتان انسانيتان ، يشركهم غيرهم فيهما .

وما دام المجال بعيدا عن المجال العربي فكيف يدعي الاستاذ صدقي ان «عطيل» عربي ويؤكد ذلك في غير موضع من مقاله .

ثم ان فلسفة الاستاذ صدقي بالنسبة لدلالة الاسماء غير صحيحة ، فنحن لم نذهب الى عروبة عطيل وأنه « العربي » ولم ندع أن اسمه عربي ، ولكن ذكرنا للاستاذ الذي ادعى عروبة عطيل ان بوسعه — ما دام مدعيا هذا الادعاء — أن يتخذ من الاسم دليلا يضيفه الى ما ظن أنه من الادلة ، والاسم يصلح أن يكون الحجة الاولى ، ويصلح أن يكون المدخل الى الدعوى .

ويقول الاستاذ صدقي :

« ... ذلك كله يلجأ اليه الاستاذ صاحب التعقيب ليخلص — في معارضته لما كتبناه عن « شكسبير والشخصية العربية » — الى أن الفضائل العربية التي نسبها شكسبير الى « عطيل » لا تدل على أن شخصية صاحبها عربية كما اراد لها الشاعر المسرحي الكبير ، بل « الحجة الاولى في ذلك — أي في عروبة عطيل اسمه ، لان الاسم يدل على جنس المسمى غالبا » . ومعنى هذا عند القارىء أنه حسب الافرنجي أيا كان ان يتخذ في سفره الى أي بلد عربي اسما عربيا ليصدق أهل البلد جميعا أنه عربي ، وهذا كلام لا يقنع واحدا من القراء العرب ، لانهم — وتجربتهم هي القول الفصل — لا يعتمدون في الحكم على عروبة أحد من واقع اسمه ، بل اعتماده ينصب قبل كل شيء على طباعه وخلقه ، وذلك ان الاسم قد يكون مستحدثا فلا يدل على شيء ، او مستعارا من أجناس أخرى لا تمت الى المسمى بأي نسب قريب أو بعيد » .

وهذا كلام غريب ، فأنا لم أقرر أو أذهب الى ما نسبه الي الاستاذ صدقي ، ومع هذا أقرر الآن أن اسماء الآدميين تمت الى المسمى بنسب قريب أو بعيد ، وتدل على جنسياتهم أو أصولهم أو دياناتهم أو اوطانهم أو أعمالهم أو مهنهم أو نصيبهم من الحضارة أو حياتهم الاجتماعية الى غير ذلك من الدلالات .

فاسم شكري — مثلا — ليس عربيا وان كان اللفظ عربيا ، وبمجرد سماع الاسم يرد على الخاطر جنس المسمى ، فلا يمكن أن يسمى الحجازي أو النجدي أو الاندنوسي أو الحضرمي — مثلا — صدقي ورفقي وذهني وفهمي ورشدي ومدحت ونشأت وصفوت وحكمت وتدل هذه الاسماء على أن أصحابها من الترك أو خضعوا للترك وتسموا بأسمائهم .

(١) اليهودية والصهيونية : تأليف أحمد عبد الغفور عطار .

وإذا سمع مثقف هذه الاسماء : بخيت ، والماس ، وجوهر فانه سيدرك ان أصحابها من الارقاء ، لان الاحرار لا يسمون هذه الاسماء .

وإذا سمع سامع اسم « تفيدة » ادرك ان صاحبته تركية ، أو خاضعة للنفوذ التركي ، ويكثر هذا الاسم في مصر ، ولعله محرف من « توحيدة » العربية .

وإذا اطلق سائح افرنجي على نفسه اسما عربيا مثل : قحطان ، أو يعرب ، فالاسم يدل على ان هناك سببا ، ولعجب من هذا الاسم العربي يطلقه افرنجي على نفسه .

والدليل الذي قدمه الاستاذ صدقي ليس له ، بل عليه ، فهو يستدل على ان الاسماء لا تدل على أصحابها ، ولهذا يقول ساخرا : « حسب الافرنجي أيا كان ان يتخذ في سفره الى أي بلد عربي اسما عربيا ليصدق أهل البلد جميعا أنه عربي ، وهذا كلام لا يقنع أحدا من القراء العرب » .

ولو كانت الاسماء لا تدل على اصحابها لما كان من بأس على هذا الافرنجي يطلق على نفسه اسما عربيا « ليصدق أهل البلد جميعا أنه عربي » .

والدليل على أن للاسم شأنا أي شأن في الدلالة على المسمى مثال الاستاذ نفسه ، فالناس ما كانوا ليستغربوا من أن يسمي الافرنجي نفسه يعرب او محمدا او عبد الرحمن لو كان عربيا ، ولولا أن للاسم شأنا عظيما لما استغربوا .

وفي موضوع «الشخصية العربية» التي ذهب اليها الاستاذ عبدالرحمن صدقي بالنسبة لعطيل وما ساق من الأدلة لاثبات عروبة عطيل وأنه القائد « العربي » كان من تمام بحثه أن يتخذ من الاسم دليلا ، لتكون شخصية عطيل عربية اسما وفعلا ومزايا وصفات وخصائص .

وأما قول الاستاذ صدقي : « لا يعتمدون في الحكم على عروبة أحد من واقع اسمه ، بل اعتماده ينصب قبل كل شيء على طباعه وخلقه » فهو قول متهافت ، فالناس عندما يسمعون اسم « يعرب » في اوروبا مطلقا على انسان يدركون أنه عربي صميم ، فاذا كان غير عربي أو غير مسلم فان الدهش سيصيبهم ، لان الاسم لم يدل على المسمى ، بل اختلف الاسم مع المسمى فكان الدهش .

والطباع والاخلاق لا تعرف للوهلة الاولى ، بل لا تدرك الا بعد المشاهدة والتجارب وتكرارها حتى تتخذ وسيلة معرفة الشخصيات والأجناس ، وهي لا تصافحنا مثل الاسماء .

والاسم العلامة الفارقة الاولى قبل كل شيء ، ثم تأتي بعده الأخلاق والطباع ، ولئن لم يظهر ذلك في البيئة العربية والعرب فانه يبرز أشد البروز عندما نجد غير مسلم يسمى محمدا ، ونجد افرنجيا يسمى يعرب .

وتعقيب الاستاذ صدقي مزدحم بالمتناقضات ، فهو يقولنا ما لم نقل ، ويحمل عباراتنا من المعاني ما لا تحتمل ، فهو يقول :

« ان الاستاذ لا ينكر ولا يستطيع بوصفه عربيا أن ينكر أن هذه فضائل الشخصية العربية ، ومن ثمة فهو يلجأ الى نظرية يخترعها اختراعا وهي قوله : « هذه خلائق ليست خاصة بالعرب ، ولا بجنس دون آخر ، لانها صفات مشتركة بين بني الانسان ، فأخلاق الفروسية هي هذه الأخلاق ، يقول هذا ويسارع الى استاذنا الجليل العقاد ، فيستشهد بما ورد في كتابه « عبقرية الامام » بقوله : « آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة ، وآداب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في كلمة واحدة هي « النخوة » ويقرن الأستاذ العطار بعد هذا آداب الفروسية عند الامام علي ، كرم الله وجهه ، بآداب الفروسية في اوروبا فيقول : « ويعرف الاستاذ صدقي حق المعرفة أخلاق الفروسية وآدابها وفضائلها وقوانينها في أوروبا التي عرفتها قبل مولد عطيل بقرون ، وعرفتها ايطاليا وانجلترا ، ويعرف الاستاذ أن اداب الفروسية التي عرفت في أوروبا هي مثل رفيعة يدخل فيها خير الخلائق الانسانية وانبل الصفات والمحامد والمكرمات والمزايا كالنخوة والنجدة والمروءة والشرف والشجاعة والكرم » .

وهنا نقول أننا لا نرى موضعا للمقارنة بين آداب الفروسية عند الامام علي في الصدر الاول للاسلام والفروسية بعد ذلك بقرون في أوروبا كما نقرأ عنها في تواريخنا العربية والتواريخ الاوروبية ، أما هذا الذي يقصه اليوم علينا الأستاذ العطار فهو معروف لدى المطلعين من الاوروبيين أنفسهم على كتب التاريخ الجادة عندهم بأنه من مبالغات الأدباء الرومانتيكيين الذين يتغنون بالعصور الوسطى في أشعارهم ورواياتهم مثل « ولتر سكوت » وغيره من الروائيين وغير الروائيين .

« ونحن نستأذن في بعض الصغائر مما كان يزهو به نظام الفروسية في أوروبا ، لنثبت للاستاذ العطار — دون تفضيل جنس على آخر في كل شيء — مبلغ الوهم فيما يقوله عن وحدة الفضائل الأخلاقية في النوع البشري لا فرق في ذلك بين الفرنجة والعرب .

« فثمة على سبيل المثال — من تقاليد الفروسية عند الفرنجة في أزهى عصورها في القرون الوسطى أن الفارس في ذلك العهد كانت شارته التي يحملها عند المبارزة مع الفرسان أو في ميدان الحرب هي منديل من تحبه ويحبها من الحسان ، وذلك بعلم من زوجها وعلى مشهد منه — ويكون التعارف بين الفارس وسيدته — كما يسمونها — في حفلة من مراسمها أن يركع الفارس أمام السيدة ، ويضع يده في قبضة يديها ، ويعلن أنه تابعها المحب ، فتقبل منه هذه التبعية رسميا ، ويكون تقبيله لها علامة القبول ، وبعدها يكون من حقه عليها تكرار هذه القبلة كل عام ، فاذا حالت ظروف دون ذلك كان من حقه المطالبة بالقبلات المتأخرة أمام ما يسمونه « محاكم الحب Courts of love » . والمحكمة مؤلفة من بعض السيدات النبيلات برياسة أميرة من الأميرات ، وأحيانا ملكة الخ » .

« فهل يستطيع الأستاذ العطار — مع افتراض دوام الاستمساك بأهداب العفة عند الطرفين — أن يزعم أن هذا كله أو بعضه مما يقبله زوج حيثما كان ، يجري الدم الحار في عروقه كسائر العرب لفرط غيرته على العرض وكل ما يمس العرض ؟

اذا ، فكيف استجاز الصديق صاحب التعقيب لمجرد تأييد زعم زعمه لنفسه أن يطلع علينا بهذه النظرية التي لم يقل بها أحد غيره ؟ »

وما زعمه الأستاذ في هذه الفقرات من الخطأ الفادح .. أنه اراد أن يثبت لنا مبلغ الوهم في قولنا بوحدة الأخلاق الانسانية فوقع في وهم أشد .

فالعرب كرماء ، والشعوب الأخرى كرماء ، والعرب شجعان وغيرهم من الامم شجعان أيضا ، واذا تجاوزنا الدم الى الدين وجدنا المؤمنين في كل دين آية في الشجاعة والكرم والتضحية .

ومن زعمات الصديق الأستاذ صدقي زعمه اننا قارنا آداب الفروسية عند الامام علي ، كرم الله وجهه ، بآداب الفروسية في أوروبا ، وهذا لم يقع ، ولكننا الآن نقول : لا بأس من المقارنة ، لان مكارم الأخلاق حصة الانسانية المشتركة ، وليست وقفا على مخلوق أو عرق أو جنس أو دين ، والوثنية نفسها لا تخلو من مكارم الأخلاق .

وما زعمه الأستاذ أنه من اختراعنا ليس حقا ، وانما هي من الحقائق التي تحولت الى المعطيات البديهية في هذا العصر . وجاءنا الاستاذ بشاهدين

ظن أنه يهدم ما ذهبنا اليه ، وهو حب الفارس زوجة غيره على مشهد من زوجها والناس ، وتقبيله اياها على مرأى منهم ، وفوزه بمنديلها المتخذ شارة .

ويعتقد الاستاذ صدقي أن هذا الذي يعد من آداب الفروسية انما هو عار لا يقبله زوج يجري في عروقه الدم الحار كسائر العرب .

وغفل الاستاذ صدقي عن العرف وسلطانه في كل الامم ، كما غفل عن حقيقة الشرائع واختلاف الناس حسب العرف والدين في فهم الخير والشر ، ويكفي أن ترد في رد الاستاذ الجليل كلمة « رسميا » و « علامة القبول » و « من حقه عليها » و « من حقه المطالبة » الى غيرها ، وهي جميعها في سياقها دالة على الشرعية ، ولو كان امرا نكرا بالنسبة للقوم لما رضوا به واحتفلوا له وبه واتخذوا له مراسم ، ويحضر الحفل علية واكابر ، وقد تحضره الملكة .

وليس في حب الفارس زوجة آخر سبة في شرائعهم وتقاليدهم ، والا لما جرى علانية بحضور النبيلات والأميرات والملكات والأزواج والناس .

وليس معنى هذا فقدان الغيرة عند الزوج ، لان ذلك الفعل مما تسمح به آدابهم ، ولكن ليأت غير ذلك « الرسمي » ويقبل الزوجة ، ولينظر الاستاذ صدقي ما يصنع الزوج ، أتراه يرضى من غير الفارس بما رضي به من الفارس الذي يحب زوجته حبا عذريا أو أفلاطونيا ، انه لن يرضى ، وستشتعل غيرته ، وشأن الدم الحار عند العربي شأنه عند زوج سيدة الفارس .

واذا كان الاستاذ صدقي يستجدي عاطفة العرب والعربي بما ذكر من حرارة الدم العربي فان الحق فوق العرب .

وما دام الاستاذ يتمسح بالدم العربي الحار ويذكر في ازدراء زوج سيدة الفارس الذي يرضى بتقبيل زوجته فاننا نذكر له انه وقع من اصحاب الدم الحار العرب في بعض عصورهم ما هو ابشع واشد نكرا بالنسبة الى المسلمين والمتمسكين من أبناء الديانات الأخرى بقداسة الزواج .

واذكر الأستاذ تذكيرا بأن الزوج الذي يجري في عروقه الدم الحار كسائر العرب كان يأمر زوجته العفيفة الشريفة في مجتمعها وبيئتها وقبيلتها بعد أن تطهر بالاضطجاع مع رجل نجيب لتحمل منه .

ولم يكن هذا الفعل مستنكرا عند اولئك العرب أيام الجاهلية ، مع أنه غاية في البشاعة ، وقد حرمه الاسلام تحريما .

وهذا النوع من الاتصال الجنسي يسمى في العربية : الاستبضاع . وفي « النهاية في غريب الحديث » مادة « بضع » :

« والاستبضاع : نوع من نكاح الجاهلية ، وهو استفعال من البضع : الجماع ، وذلك ان تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط ، كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد » .

فأيهما المنكر البشع ؟ أن يحب الفارس زوجة آخر أم تمضي الزوجة العربية بأمر زوجها العربي الذي يجري في عروقه الدم الحار الى غيره لتحمل منه ليكون ولدها من هذا الاستبضاع نجيبا ؟

لم يكن هذا الاثم اثما عند أهله لأنه مما تسمح به آدابهم وحياتهم ، بل كان أمرا متبعا حتى جاء الاسلام وحرمه تحريما .

وأما ما ظنه الأستاذ صدقي فضائل عربية فهو ظن خاطيء ، وآداب الفروسية التي يراها خاصة بالعرب هي عامة ، ومن أشد الخطأ قوله : « كيف استجاز الصديق صاحب التعقيب لمجرد تأييد زعم زعمه لنفسه أن يطلع علينا بهذه النظرية التي لم يقل بها أحد غيره ، وهي قوله عند ذكرنا الفضائل العربية : « هذه خلائق ليست خاصة بالعرب ولا بجنس دون آخر لأنها صفات مشتركة بين بني الانسان » .

وليست هذه نظرية ، ومجاراة للأستاذ صدقي نقول : ان هذه النظرية من البديهيات ، فالصفات الانسانية ليست خاصة بجنس ، لأنها صفات انسانية ، فالكرم مما اشتهر به العرب ، ولكنه ليس صفة خاصة بهم دون غيرهم ، بل الناس من كل جنس شركاؤهم في هذه الصفة المحمودة .

وآداب الفروسية في أوروبا تمتاز بصفات جليلة ونبيلة ، وأرجو الأستاذ صدقي أن يرجع الى المصادر العربية وغير العربية ويطلع عليها ليرى انها رأت قبلنا ما رأيناه بعدها ، وما ظنه نظرية من اختراعنا سبقنا اليه كثير ، وبين يدي « الموسوعة العربية الميسرة » التي تقول تفسيرا لمادة « الفروسية » :

« فروسية : المثل العليا الأخلاقية التي ظهرت خلال العصر الاقطاعي ، وبلغت أسمى تعبير عنها في القرنين ١٢ و ١٣ في فرنسا واسبانيا بنوع خاص ، وانتشرت هذه المثل بسرعة في سائر الأقطار الأوروبية وانجلترا ، وهي مزيج من المثل المسيحية والحربية ، ولا تزال الأساس الاخلاقي لسلوك السيد المهذب ، وأهم فضائل الفروسية : التقوى ، والشجاعة ، والشرف ، واتباع ناموس الله ، والولاء الروحي للسيد أو الحاكم ، والتعلق بحبيبته تعلقا عذريا ، فقد كان الحب بمعناه الفروسي أفلاطونيا في الأغلب ، وكانت القاعدة أن تكون المحبوبة عذراء أو زوجة شخص آخر » .

فهذه الصفات التي اشتهر بها الفرسان ما سميت بأنها انسانية الا لأنها في بني الانسان من جميع الأمم والشعوب ، وقد تنسب خلائق لأمة على سبيل التغليب ، ومع ذلك فهي انسانية وعامة .

واختم القول بأن « عطيل » — أولا — ليس شخصية شكسبيرية ، لأنها وردت قبل مسرحية شكسبير في كتب مختلفة ، فهو ناقلها عن غيره ، نقل الاسم — باعتراف الأستاذ صدقي — ونقل القصة .

و — ثانيا — ان « عطيل » ليس عربيا ، ولم يذكر شكسبير أن بطله العظيم الشهم عربي ، بل ذكر في غير موضع أنه « مغربي » وأشخاص المسرحية يعرفونه انه « مغربي » وأن « ديدمونة » التي أحبته ونسيت كل شيء الا حبيبها تقول : « المغربي » .

و — ثالثا — ليس في المسرحية أي ذكر للعرب الا جملة وردت في كلمات «عطيل» الأخيرة قبل أن يسلم روحه حيث شبه دموعه بما يسيل من أشجار « صمغ بلاد العرب الشافي » وكلمة عن « حلب » .

و — رابعا — لم يكن شكسبير على علم بتاريخ العرب والمسلمين الا ما افتراه الصليبيون من الأكاذيب والخرافات والأساطير ، وهو يجهل تاريخ الرسول الأعظم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، والخلائق العربية .

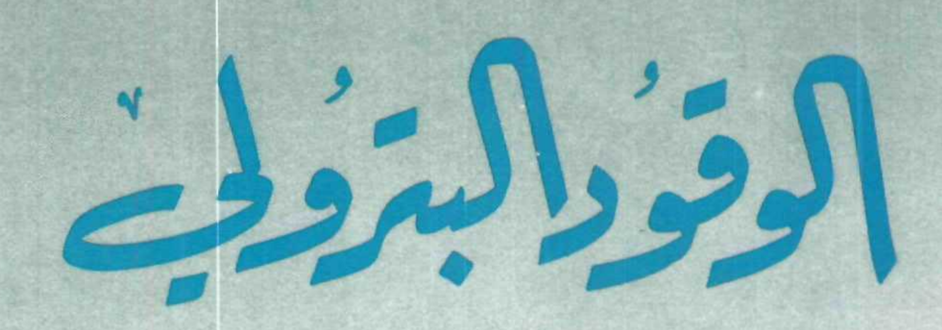
و — خامسا — ليرجع الأستاذ صدقي الى رواية شكسبير الأولى عن تاريخ هنري السادس ليرى الى أي مدى كان جهل شكسبير بأشهر عربي على الاطلاق ، وهو الرسول الكريم الصادق الأمين محمد عليه الصلاة والسلام .

و — سادسا — عنوان المسرحية نفسه يثبت أن « عطيل » مغربي وليس بعربي .

و — سابعا — شذ الأستاذ صدقي عن كل من كتب أو درس مسرحية « عطيل » حيث ذكر عروبة «عطيل» دون غيره .

وعلى أي حال فأنا أرد تحية الصديق العزيز الأستاذ عبد الرحمن صدقي بمثلها ، وأراني مثله سعيدا بهذا الحوار الذي جدد اللقاء ولو على صفحات « القافلة » الغراء ■

أحمد عبدالغفور عطار — مكة المكرمة



إذا رجعنا إلى تاريخ استعمال الانسان للوقود وجدنا أن استعماله له كان مقصوراً على اعداد طعامه وعلى الاضاءة، وكان الوقود يتمثل آنذاك في الحطب والفحم على الأعم الأغلب. أما معرفة الانسان للآلة فتكاد تكون حديثة، إذ لم يمض على معرفته إياها سوى قرنين، وكانت الآلة قبل ذلك تنحصر في العربات التي تجرها الخيول، والمحاريث التي تسخر الدواب في تشغيلها. أما الطاقة في عرفه فقد كانت لا تتجاوز الطاقة العضلية..

لمحة تاريخية

لم يعرف البترول بالمفهوم الحالي الا في منتصف القرن التاسع عشر ، وهذا لا يعني أن الانسان كان يجهله كلية قبل ذلك التاريخ ، فقد كان البترول يستعمل منذ القدم في العراق ومصر وبلاد فارس وغيرها . وتدلنا النصوص التاريخية على أن بناة المدن القديمة في مصر وآسيا قد استعملوا البترول في رصف الطرق وتشييد البنيان ، وكان المصريون القدماء يغمسون أحزمة المومياء في القار ، وهو أحد مشتقات البترول . أما اليونانيون فقد استعملوا البترول في طلاء عجلات عرباتهم ، كما غطى « نبوخذ نصر » طرق بابل بالاسفلت الخام ، واستخدمه فـي طلاء شرفات الحدائق المعلقة . واستعمل المصريون والصينيون والهنود الحمر البترول كدواء يشربونه ويمسحون به على جراحهم . واستخدم البترول كوقود على نطاق ضيق في العصور القديمة ، وكسلاح أثناء الحروب ، اذ تغمس فيه الحزمة الملفوفة على رؤوس السهام ثم ترق ويقذف بها فوق اسوار المدن المحاصرة ، كما كان يحرق في المصابيح للانارة . وكان سكان مناطق البحر الأبيض المتوسط القدماء يحفرون الخنادق حول أماكن تسرب البترول ، ليتجمع فيها ، وبعد تبخر المواد الخفيفة منه كانوا يستخدمون القار اللزج في طلاء السفن ، كما كانوا يستعملونه في تثبيت الطوب والأحجار في المباني .

واذا ما سرنا مع تطور استعمالات البترول ومراحل صناعته، وجدنا أن ذلك لم يبدأ الا في سنة ١٨٥٩م ، على الرغم من معرفة الانسان له منذ فجر التاريخ ، ولم يستعمل البترول على نطاق واسع في توليد الطاقة الا في العصر الحديث . ومع أن أول من فكر في حفر بئر للحصول على البترول لا زال غير معروف على وجه التأكيد ، الا أن أشهر من اقترن اسمه بالبترول وحفر آباره ، هو « ادوين ل. دريك » . وبعد نجاح « دريك » في استخراج الزيت ، تزايد الطلب عليه ، وظهرت صناعته ، فتوفرت أنواع عديدة من الوقود تم تسخيرها لادارة مختلف الآلات ، وأخذ البترول يفرض نفسه بقوة ،حتى أصبح الآن من الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها الصناعة الحديثـة .



طائرة ضخمة جاثية في مطار الظهران الدولي ، وقد امتدت اليها الخراطيم التي تزودها بالوقود البترولي .

استخراج الزيت وعمليات التصنيع

ان أرجح النظريات عن تكوّن الزيت هي تلك التي تقول بأنه مادة عضوية مصدرها الحيوانات والنباتات البحرية المطمورة تحت طبقات متوالية من الطين والغرين منذ مدة يحتمل انها تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ مليون سنة . وهناك شرطان لا بد من توفرهما حتى يتكوّن زيت في طبقة ما في جوف الأرض ، الأول : وجود بيئة من البحار الضحلة ، حيث المياه غنية بالكائنات الحيوانية والنباتية على اختلاف أحجامها ، والثاني : ترسب تلك الكائنات بعد موتها في قاع البحر ، وطمرها بالوحول التي تجرفها الأنهار والأمطار ، وتوفر عوامل معينة في قاع البحر تحول دون الاهتراء السريع لتلك الكائنات بسبب الفعل البكتيري . وأحد هذه العوامل أن تكون نسبة الأوكسجين في الماء ضئيلة .

وعلى مرّ الزمن تأخذ طبقات الطين والغرين المترسبة فوق القاع ، الحاوي لتلك الكائنات ، في التراكم طبقة فوق أخرى ، بحيث تتعرض الطبقات السفلية ، التي انطمرت فيها الأعداد الهائلة من الكائنات العضوية النافقة ، لضغط شديد بفعل تراكم الطبقات المترسبة فوقها . وعلى مرّ السنين وعلى عمق عدة آلاف من الأقدام تتوالى تفاعلات كيميائية ، يرجح أنها لا تتوقف على النشاط البكتيري ، في تحويل الأجزاء الرخوة من تلك الأجسام الى زيت وغاز . وتفيد الدلائل أن الغاز يتولد أكثر ما يتولد في الأعماق البعيدة.

يتكوّن الزيت الخام المستخرج من مكامن الزيت في باطن الأرض من مزيج معقد التركيب تتحد فيه ذرات الكربون والهيدروجين بأشكال كثيرة ، ونسب مختلفة . وبالاضافة الى جزيئات الهيدروكربون توجد في الزيت شوائب عديدة ، كالماء والأملاح ومركبات الحوامض والكبريت .

ان منافع الزيت الخام في حالته الطبيعية قليلة جدا ، ولكي يمكن استعمال الزيت في مختلف الأغراض الهامة وجب فصل عناصره الرئيسية بعضها عن بعض ، وهي البنزين ، والكيروسين ، والديزل ، والأسفلت . وتسمى العملية التي يتم فيها الفصل عملية التكرير .

يعتمد تكرير الزيت الخام على مبدأ التقطير ، أي تحويل المادة من سائل الى بخار ثم تبريدها ثانية واعادتها الى سائل . وفي عملية التكرير يستخدم مبدأ التفاوت في درجات الغليان ودرجات التكثف ، كما يستخدم الوسيط الكيماوي .

وبما أن الزيت الخام يتكوّن من عناصر مختلفة في الوزن والتركيب ، فان هذه العناصر تتبخر على درجات حرارة مختلفة ، وتتكثف على درجات حرارة متفاوتة أيضاً .

ان الخطوة الأولى لتكرير الزيت الخام ، بعد فصل الغاز منه وتركيزه ، هي ضخه الى وحدات تقطير الزيت الخام ، حيث يدخل في أسطوانة ضخمة تحتها موقد كبير يرفع درجة حرارة الزيت الى ٦٠٠ درجة فرنهايت ، وحينئذ ترتفع الأبخرة في الأسطوانة العمودية ، التي تدعى برج التقطير . وهذه الأسطوانة مقسمة الى عدة طبقات تتفاوت درجة الحرارة في كل منها ، الأمر الذي ينتج عنه تجزئة عناصر الزيت . فالزيت الذي يتبخر على درجة حرارة ٦٠٠ فرنهايت يعود الى الحالة السائلة متى انخفضت الحرارة ، ولكن انخفاض درجة الحرارة التدريجي في كل طبقة من طبقات برج التقطير يجعل العناصر المكوّنة للزيت تتكثف كل على حدة أي ان كل عنصر يتكثف على درجة الحرارة الخاصة به ، وهكذا تتم عملية الفصل أو التجزئة ، ويحدث التبريد والتحول الى السيولة بفعل تيار بارد من النفتا السائلة يضخ الى أعلى البرج ، ثم يهبط مارا في الطبقات المختلفة ، فيلامس الأبخرة الصاعدة . أما تكثيف المادة التي يصنع منها الاسفلت فيتم في طبقة شديدة الحرارة تقع في أسفل الأسطوانة أو البرج . وتتكثف الزيوت الثقيلة في طبقة تعلو الطبقة السالفة الذكر مباشرة . ويتحوّل الديزل من بخار الى سائل على درجة حرارة تبلغ نحو ٥٠٠ فرنهايت . أما الكيروسين فيمر بطبقة تكثيف الديزل ، ويرتفع الى طبقة أعلى ، حيث تبلغ درجة الحرارة ٣٠٠ فرنهايت ، فيتحوّل الى سائل ، ويسحب . والنفتا ، وهي الجزء الذي يؤخذ من الزيت الخام لصنع البنزين ، تبقى بخارا ، وترتفع الى أعلى البرج حيث تنخفض درجة الحرارة الى ١٢٥ فرنهايت ، فتتكثف وتسحب . وبهذه الطريقة تنفصل العناصر الرئيسية المكوّنة للزيت بعضها عن بعض ، ويجري سحب كل منها من الطبقة التي يصبح فيها سائلا . وبعد فصل منتجات الزيت بعضها عن بعض ، تجرى عمليات أخرى لمعالجتها وتحسينها في الوحدات المتعددة في معمل التكرير .

أنواع الزيت الخام

تختلف أنواع الزيت الخام من بلد الى آخر ، ومن حقل الى حقل ، اختلافا كبيرا من حيث المظهر والتوافق ، فيتفاوت من كونه سائلا رجراجا ذا لون بني يميل للصفرة الى كونه سائلا أسود مرتفع اللزوجة وشبه صلب ، الا أن جميع أنواعه تتكون من الهيدروكربونات . أما الاختلاف فيما بينها فيعود الى النسب المتباينة لأنواع المركبات الهيدروجينية ، فقد يتكون نوع من الزيت الخام في غالبيته من البارافين ، بينما يتألف نوع آخر في غالبيته من النفتا .وسواء أكان الزيت من البارافين أو من النفتا ، فقد تكون نسبة المركبات الخفيفة فيه مرتفعة ، ويكون الزيت عندئذ رجراجا أو محتويا على قدر كبير من الغازات الذائبة فيه ، وقد يكون أكثر المركبات التي تتألف منها الهيدروكربونات ثقيلة ، فيكون الزيت عندئذ مرتفع اللزوجة خالياً من الغازات الذائبة ، أو يكاد .

وتتحكم طبيعة الزيت الخام ، الى حد ما ، في نوع المنتجات الممكن صنعها منه وأهليتها للاستخدام في مجالات معينة ، غير أن طرق التكرير الحديثة تحقق قدرا كبيرا من المرونة في استخدام مختلف أنواع الزيت الخام لصنع أي نوع مرغوب من المنتجات . ويصنف الزيت الخام عادة الى ثلاث فئات بحسب نسبة الهيدروكربونات التي تحويها ، وهي كما يلي :

زيت البارافين الخام

ويحتوي على شمع البارافين ، بينما يكاد يخلو من المواد الاسفلتية . ويتألف في غالبيته من هيدروكربونات بارفينية . ويعطي هذا النوع من الزيت عادة مردودا حسنا من شمع البارافين وزيوت التزييت الممتازة .

زيت الاسفلت الخام

ويحوي على كمية قليلة من شمع البارافين أو يخلو منه ، بينما يحتوي على نسبة عالية من المواد الاسفلتية ، ويتألف هذا النوع في معظمه من النفتا ويعطي زيوتاً ذات لزوجة ، الا انها تتأثر بالحرارة أكثر مما تتأثر بها الزيوت المستخرجة من زيت البارافين الخام ، ولكن يمكن تحسينها بواسطة عمليات تكرير خاصة وغالبا ما يسمى هذا النوع من الزيت اليوم « زيت النفتا الخام » .



منظر ليلي لمعمل التكرير في رأس تنورة حيث يجري
إنتاج أنواع مختلفة من الوقود



الزيت الخليط الخام

يحتوي هذا النوع من الزيت على مقادير كبيرة من شمع البرافين ومن المواد الاسفلتية معا ، فهو مزيج من البارافين والنفتا ، كما يحوي قليلا من الهيدروكربونات العطرية . وهذا النوع من الزيت هو أكثر الأنواع توافرا .

أنواع الوقود

لا شك أن الوقود البترولي السائل أحدث تطورا كبيرا في حياة البشر ، اذ مكنهم من صنع محرك الاحتراق الداخلي كالسيارة والطائرة والآلة الصناعية بوجه عام . وتنقسم أنواع الوقود البترولي الى غازات وسوائل ، ويمكن تصنيف السوائل وفقا لقدرتها على التبخر الى : بنزين ، وكيروسين ، وزيت غاز ، ووقود ديزل ، وزيت وقود .

البنزين

هو أشهر أنواع الوقود المعروفة وأكثر المنتجات البترولية استعمالا في العالم ، ويعتبر المصدر الرئيسي لحركة المواصلات ، وخاصة السيارات باختلاف انواعها . ويشمل البنزين أنواع الوقود السائل القابل للتبخر والاشتعال في محركات الاشتعال الحراري .

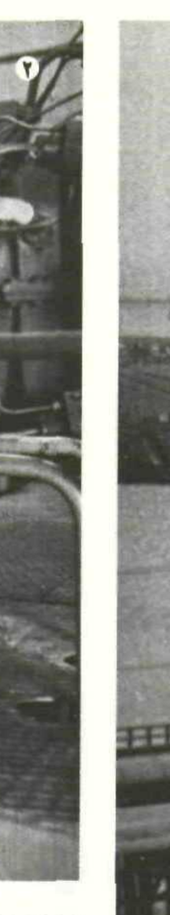
وليس الصنف المعروف في السوق بالبنزين جزءا منفردا من منتجات المصافي بل أنه مزيج متوالف من منتجات متعددة ، ثم يضاف اليه رابع اثيل الرصاص أو رابع مثيل الرصاص ، أو كلاهما ، وغير ذلك من المواد مما يوافق مواصفات التسويق . وأنواع البنزين التي تنتجها المصافي لا لون لها ، وهي سوائل سريعة الاشتعال وتغلي على حرارة تتراوح درجتها بين ٣٠ و ٣٠٠ مئوية (٨٥-٣٩٠ فرنهايت) .

وأهم خصائص البنزين ، كوقود للمحركات هو درجة الاوكتان فيه . وتحتوي أنواع بنزين السيارات والطائرات على رابع اثيل الرصاص أو رابع مثيل الرصاص أو على كليهما لضبط الدق في المحرك ورفع درجة الاوكتان في الوقود . وبما أن هاتين المادتين تصبغان بالألوان للدلالة على طبيعتهما السامة فان معظم أنواع البنزين تصطبغ بلونيهما بعد اضافتهما اليها .

ومن الخصائص المهمة للبنزين أيضا القدرة على التطاير ، وتتوقف هذه القدرة على النسب التي تدخل في تركيب مختلف العناصر الهيدروكربونية .

وتشتمل محتويات البنزين في العادة على آثار لمركبات كبريتية قد تتسبب في تكوين غازات أكالة عند الاحتراق ، لذلك تعالج هذه المحتويات الكبريتية في المصانع من أجل تخفيض نسبتها الى أقل قدر ممكن . وتدخل في تركيبه المواد الاساسية التالية : النفتا الخفيفة ، والنفتا الثقيلة ، والبنزين الحراري المهذب ،







وبنزين منتجات المجزىء التحضيرية العلوية « Prefractionator Overhead Gasoline » والبنزين المبلمر ، والبنزين المهذب ، ولكل مادة من هذه المواد درجة معينة من الاوكتان . وعقب عملية المزج ، تضاف نسبة قليلة من مركب البوتان لتزيد في ضغط المزيج ، وتقدر كمية البوتان المستعملة بدقة متناهية ، لانه يجري على ضوئها تحديد مدى تأثير الأوكتان في المزيج . أما درجات الأوكتان في بنزين السيارات فتتراوح بين ٧٠ و ١٠٢ ، ولديها قدرة على التطاير توافق الاحوال المناخية في المنطقة التي يستعمل فيها . وأنواع البنزين المعترف بها على وجه العموم ثلاثة : البنزين العادي للمحركات ذات الضغط المنخفض ، والبنزين الممتاز للمحركات ذات الضغط العادي او المتوسط ، والبنزين المتناهي الجودة للمحركات ذات الضغط العالي . وأنواع بنزين الطائرات هي كذلك عديدة ومتوفرة ، ودرجة الاوكتان فيها أرفع مما في بنزين السيارات ، اذ تتراوح بين ٧٣ و ١١٥ و ١٤٥ .

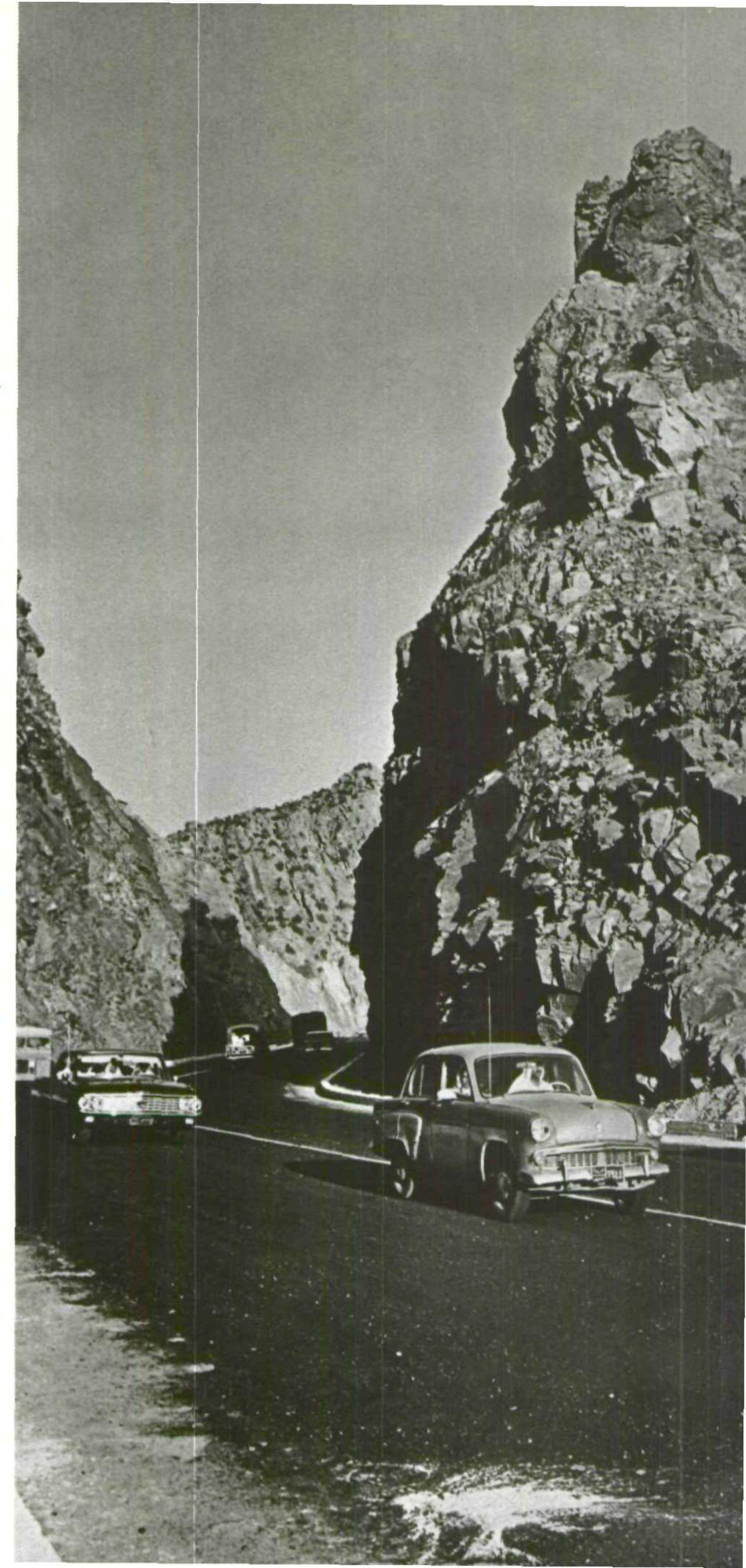
١ – السفن العملاقة تجوب البحار لتنقل الزيت الخام ومشتقاته العديدة الى مختلف بقاع العالم ، وها هي احدى الناقلات الضخمة تؤم فرضة رأس تنورة البحرية لتنقل الزيت السعودي ومنتجاته البترولية الى الأسواق العالمية .

٢ – جانب من الطربينات الغازية التابعة لشركة كهرباء الظهران « دبكو » ، وهي تعتمد الغاز الطبيعي في تشغيلها لتوليد الطاقة .

٣ – لا تكاد صناعة حديثة تخلو اليوم من عنصر البترول ، وهذا مصنع الأسمدة في الدمام « سافكو » الذي يستخدم الغاز الطبيعي في انتاج سماد « اليوريا » وغيره من الأسمدة الكيماوية .

لقد أدى الوقود البترولي الى تطوير المحركات ذات الاحتراق الداخلي ، وبالتالي الى شق الطرق وتعبيدها بالاسفلت ، مما يسر للناس حركة المواصلات والتنقل بين المدن والقرى . ويبدو هنا في الصورة جانب من طريق مكة — الطائف .

أحد القطارات الدافعة لمؤسسة خطوط السكك الحديدية السعودية التي تسير بوقود الديزل وتنطلق من الدمام الى الرياض .



الكيروسين

ظل الكيروسين ، يحتل مكان الصدارة بين منتجات البترول لخمسين سنة خلت . وعلى الرغم من أن البنزين أقصاه عن مكانته منذ زمن بعيد ، فان الطلب عليه لا يزال كبيرا ، فهو لا يزال يستعمل للانارة في انحاء كثيرة من العالم .

كما أن استحداث المواقد المتقنة الصنع أسهم في ازدياد الطلب عليه لتدفئة المساكن ولأغراض الطهو . وبظهور الطائرات الطوربينية النفاثة في العالم زاد استهلاك الكيروسين زيادة كبيرة .

والكيروسين الذي تنتجه المصافي سائل لا لون له ، الا انه يصبغ في بعض الأحيان لأغراض تجارية . وهو أقل قدرة على التطاير والاشتعال من البنزين ، ويغلي على حرارة تتراوح بين ١٤٠ و ٣٠٠ درجة مئوية (٢٨٥–٥٧٠ فرنهايت) .

ويعالج الكيروسين حسب طريقة « دلينو » بثاني أوكسيد الكربون السائل في عمود محشو ، ويرتفع الكيروسين في العمود بفضل ثقله النوعي المنخفض ، ويقابل سائل ثاني اوكسيد الكبريت المنحدر ، الذي يفوقه ثقلا ، فتنحل العناصر العطريةمن الكيروسين ، ويسحب الجزء المكرر من أعلى العمود مع بعض المذيب ، بينما يسحب معظم المذيب المحتوي على العطريات من قعره .

وانواع الكيروسين التي تحتوي علىنسبة عالية من العطريات لا تصلح للمصابيح أو للأجهزة ذات الشعلة البيضاء المزودة بفتائل ، اذ أنها تثير دخانا عند احراقها . ويخضع الكيروسين من أجل استعماله في هذه الأوجه لمعالجة من شأنها تخفيض نسبة العطريات فيه ، فيصبح بذلك صنفا يسود فيه العنصر البارافيني .

ويجب أن تكون درجة الأوكتان في الكيروسين المستعمل وقودا للجرارات مرتفعة الى أعلى حد ممكن ، ويستحسن في هذه الحالة اضافة عنصر العطريات الذي ترتفع فيه درجة الأوكتان .



والنوع الذي يصلح للاستعمال في الجرارات يعرف في السوق باسم « زيت الجرارات المبخر » ، ولا سيما النوع الذي يحتوي على نسبة عالية من العطريات . ويستعمل في الطائرات النفاثة نوعان مختلفان من الكيروسين ، احدهما يتميز بدرجة تجمد منخفضة ، والآخر ينتمي الى فئة واسعة من المقطرات ، من ضمنها البنزين . وكلا الصنفين يخضعان لمراقبة شديدة أثناء عملية التكرير .

زيت الغاز

تعرف المقطرات البترولية ، التي هي أثقل من الكيروسين ، وأخف من زيت المحاور ، باسم « زيت الغاز » لأنها استعملت في بادىء الأمر لتقوية غاز الماء . وهو غاز ذو قيمة حرارية منخفضة ينتج من اطلاق بخار الماء فوق الفحم المتأجج عند صنع غاز الاستصباح . ولا يزال زيت الغاز يستعمل لهذا الغرض ، مع أن هناك اتجاها لاستعمال أنواع الوقود المتخلفة حيثما أمكن . وكذلك يستعمل زيت الغاز وقودا لمحركات الديزل ، ولتوليد الحرارة في المساكن والمصانع ، وكلقيم لعمليات التكسير التي تحوله الى بنزين ممتاز .

ينتمي زيت الغاز الى فئة المقطرات ، ويتميز بلون بني ، ويغلي غالبا على حرارة تتراوح درجاتها بين ١٨٠ و ٣٧٠ مئوية (٣٥٥ــ٧٠٠ فرنهايت) ، وهو ينتج من عمليات عديدة تقوم بها المصافي ، منها : تقطير الزيت الخام ، والتقطير الفراغي لزيت التزييت ، والتكسير الحراري ، والتكسير بالوسيط الكيماوي .

وقود الديزل

تختلف الأنواع التي يجري تسويقها من هذا الوقود باختلاف أنواع المحركات التي يستعمل فيها . فالمحرك الصغير الشديد السرعة ، كمحرك السيارة يلزم له وقود من المقطرات يكاد لا يختلف عنه في شيء عن زيت الغاز . ومن أبرز خصائص هذا الوقود قدرته على الاشتعال الى درجة (السيتان) التي يتميز بها . ويتوقف حسن اداء المحرك ايضا على سرعة تطاير الوقود ، وهي من الخصائص التي يجري ضبطها في طور التقطير . أما محركات الديزل الخاصة بالمعدات الثابتة ، وهي أكبر حجما من محركات الديزل الخاصة بالمعدات السيارة ، وأبطأ منها ، فلا تتطلب كل تلك المطالب ، بل يكفيها ، لتعمل بصورة مرضية ، وقود ذو درجة منخفضة من الأوكتان بحيث يقل عن وقود المعدات المتحركة قدرة على التطاير .

وأما محركات الديزل الخاصة بالسفن ، والتي هي أكبر انواع المحركات حجما وأبطؤها سرعة ، فتعمل بانواع من زيوت الوقود أكثر لزوجة ، سواء كان الوقود من المقطرات أو من المتخلفات . وكان قد بطل استعمال الوقود المستخرج من المتخلفات في السفن ، بسبب ما كانت تخلفه من رواسب ثقيلة ، وما كانت تؤدي اليه من تلف في الاسطوانات ، الا أن استحداث مواد تزييت وتشحيم خاصة ، جعل استعمالها ممكنا دون أن يؤدي ذلك الى حالات ترسب أو تلف تفوق ما يؤدي اليه استعمال المقطرات الجيدة .

ونسبة الكبريت في وقود الديزل أعلى مما هي عليه في البنزين أو الكيروسين ، اذ تصل الى واحد في المائة من وزنها في وقود المعدات المتحركة ، والى اثنين في المائة تقريبا من وزنها في المقطرات من وقود السفن ، والى اربعة في المائة من وزنها في المتخلفات من وقود السفن .

زيوت الوقود

تتألف زيوت الوقود كلها ، أو جزء كبير منها ، من مخلفات تقطير الزيوت الخام التي ترتفع فيها نسبة الاسفلت . وبما أنه من المستحيل انتاج جميع هذه الأصناف كمنتجات رئيسية في معامل التكرير ، فانها تصنع عن طريق موالفة المتخلفات بالمقطرات وفقا لدرجة اللزوجة المطلوبة .

ويحرق زيت الوقود لتحضير البخار المستعمل في السفن والقاطرات ، وفي توليد الحرارة بصورة عامة ، أو يستعمل كوقود في محركات الديزل البحرية الكبيرة . وهناك اتجاه لتسمية الوقود حسب الوجه الذي يستعمل فيه ، كأن يقال مثلا : وقود السفن ، أو وقود أسفل المراجل ، أو الوقود الصناعي .

وبما أن غالبية زيوت الوقود تتكون من المتخلفات ، فانها تحتوي على آثار مواد معدنية متأتية من الزيت الخام أو من عملية التصنيع ، وعندما يحرق الزيت تبدو هذه المواد وكأنها رماد . وتبلغ نسبتها عادة في الزيت أقل من واحد في المائة ، وقد تحتوي على مركبات من الصوديوم والكالسيوم والحديد والنيكل والفناديوم . ويمكن أن تكون هذه المواد مؤذية في بعض أوجه الاستعمال حتى ولو كانت نسبتها ضئيلة .

الاستعمالات الرئيسية لمنتجات الزيت

يستعمل معظم الزيت الذي ينتجه العالم كوقود لتوليد القوة في المحركات ، أو لتوليد الطاقة الحرارية او للاضاءة في المصانع والمساكن . كما أصبح يدخل في تحضير منتجات أخرى عديدة لا غنى للعالم عنها في عصرنا الحديث ، منها : مبيدات الحشرات ، والمحاصيل البيضاء للدهان ، والمنظفات ، وصناعة النايلون ، والعقاقير الطبية ، والنسيج الاصطناعي ، والمطاط الاصطناعي ، واللدائن ، ومبيدات الأعشاب ، والأسمدة ، والمساحيق ، والمراهم ، ومواد التلميع ، والورق المشمع ، والشموع ، وتغليف الأنابيب ، وطلاء السطوح ، والدهانات الواقية ، وغير ذلك . هذا بالاضافة الى استخدام الغاز الطبيعي ، الذي يكون مرافقا للزيت أو ذائبا فيه ، في ادارة عجلة الصناعة ، وقد أخذ الاعتماد عليه يزداد مؤخرا بشكل واسع في جميع انحاء العالم ■

يعقوب سلام ـ هيئة التحرير

لو كان معه رجال ..!

بقلم الاستاذ محمد المجذوب

كان المسلمون حديثي عهد بأحداث الحديبية وقد باتت التطورات غير المتوقعة تتكشف لأعينهم فتزيدهم ايمانا بحكمة قائدهم الأعظم ، اذ أثبتت لهم ان ما كانوا يحسبونه انتقاصا من حق المؤمنين في تلك العهدة النبوية ، التي رضيها لهم رسول الله ، وقد جعل يسوق اليهم الكثير من الخير الذي لم يخطر في بال أحد منهم قط .. ولو أن الأمور سارت يومئذ وفق رغبات الكثرة من المسلمين ، الذين ضاقوا صدرا بشروط ذلك العقد لتبدل مسير الحركة الاسلامية ، لا في الجزيرة العربية وحدها ، بل في كل مكان يمكن أو يجب أن تصل اليه .

لقد بلغ التوتر في نفوس الفريقين أثناء ذلك أقصاه ، فقريش الكافرة أخذتها الحمية الجاهلية ، فحزمت أمرها على منع المسلمين دخول مكة ، ولو كلفها ذلك التعرض للفناء الشامل ، على الرغم من اقتناعها التام بأنهم لا يريدون الا أداء العمرة ، وتعظيم البيت وابلاغ الهدى محله .

وأما الألف والأربع المئات من المسلمين الذين أقبلوا مع نبيهم لعبادة الله ، فلم يكن شيء أحب اليهم من اعمال السيوف في رقاب أولئك الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا ، ثم لا يكتفون بكل ما فعلوه من ايذاء الرسول الكريم والمستضعفين من المؤمنين ، حتى حشدوا اليوم قواتهم للحيلولة بينهم وبين الوصول الى بيت ربهم .

وقد برزت طلائع المعركة باقدام كوكبة من فرسان قريش على التحرش بمعسكر المسلمين ، فكان عاقبة أمرهم أن أحيط بهم ، وسيقوا أسارى الى رسول الله ، فردهم الى قومهم ليستيقنوا من حسن نيته نحوهم فيخففوا من غلوائهم ويستعيدوا بعض ما فقدوه من وعيهم ، ولكنهم لم يزدادوا بذلك الا امعانا في الغي ، ومقابلة كل ظاهرة من الخير بضدها من الشر .. في حين أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يزدد الا تصميما على ما قطعه على نفسه من عهد الله منذ حطت به ناقته في رحاب الحديبية ، اذ أعلن قائلا : « لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها » . وقد صدق وعده ، فعقد معهم تلك الهدنة التي اعتبرها المشركون نصرا مؤزرا لهم ، اذ أعطتهم كل امتياز طمحوا اليه ، حتى العهد بأن يرد رسول الله اليهم كل مسلم يلجأ اليه بعد اليوم ، في الوقت الذي سلبت المسلمين كل حق باسترداد أي مرتد عن الاسلام يريد اللحاق بقريش .

ومن هنا كان البلاء كبيرا على المسلمين بازاء قسوة هذه الشروط ، التي أحسوا أنها تجرحهم في صميم عزتهم .. ولو كان ذلك لسنة أو سنتين لهان الأمر ، ولكنها هدنة مستمرة بأثقالها وهوانها لعشر سنوات كاملات ..! وحتى « عمر بن الخطاب » ذو الألمعية الثاقبة ، كاد يتفجر تغيظا لما تصوره من ذلك الهوان ، فلم يتمالك أن يلوذ بأخيه « الصديق » ليدير معه الحوار اللاهب :

— يا أبا بكر .. أليس برسول الله ؟!

— بلى انه لكذلك .

— أولسنا بالمسلمين ؟!

— بلى ، ولله الحمد .

— فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟!

ورأى الصديق خيرا ما يرد به على هذا القلق هو أن يرد عمر الى فطنته وايمانه بهذه الكلمة الحاسمة . « يا عمر » ، الزم غرزه ، فاني أشهد انه رسول الله » . وكان في ذلك تذكير له بالعصمة التي تحوط أعمال رسول الله ، فلم يستطع عمر الا أن يردد مع أبي بكر : « وأنا أشهد انه رسول الله » . ثم لا يلبث أن يمضي الى الرسول ليردد على مسمعه تلك الاستفهامات الحائرة نفسها ، فيجيبه : « أنا عبد الله ورسوله . لن أخالف أمره ، ولن يضيعنني » .

وكان جوابا حاسما ألزم الصحابة جميعهم حدود الاستسلام التام ، اذ علموا أن الأمر رباني ، لا مجال فيه للاجتهاد الشخصي ، وليس هو من متعلقات الشورى التي يشارك في تقديرها أولو الرأي . بيد أن ذلك لم يذهب من نفوس المسلمين بمشاعر الألم اللاذع بازاء بعض المشاهد التي رافقت تلك المناسبة ، فكانت محكا قاسيا لمدى التزام المؤمنين بطاعة نبيهم ، ومختبرا صارما لمقدار حفاظ الجانب الاسلامي على كلمة الشرف التي يعطيها الآخرين ، مهما أثقلت عواتقهم ، وعمقت آثارها في قلوبهم .

وأي مسلم يستطيع أن ينسى شراسة سهيل ابن عمرو ، ممثل المشركين في مفاوضات الهدنة ، وهو ينكر على نبي الله أن يصدر العقد بذكر رسالته فيقول له : لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك . فيقابل رسول الله ذلك التصرف الأحمق بحلمه الواسع ، ويمحو ما أملاه من



ذكر الرسالة ، توكيدا لما قرر من التسامح والرحمة بهؤلاء المعاندين .

وأي مسلم يستطيع كذلك أن يتناسى منظر أبي جندل بن سهيل هذا ، اذ وصل معسكر المسلمين ساعتئذ وهو يرسف بأغلال الحديد ، ويستصرخ رسول الله والمسلمين لانقاذه من طغيان أبيه ، الذي يسومه على اسلامه سوء العذاب . فيقوم اليه والده يلطم وجهه ، ويطالب النبي بأن يكون أول مردود من المسلمين الى قريش حسب الاتفاق الذي لم يوقعاه بعد ، فيسأله رسول الله أن يجيزه له ، فيأبى قائلا : هذا ما أقاضيك عليه . ويذكره الرسول بأن « الكتاب لم يقض بعد » ولكن سهيل يصر على عناده مقسما بأنه لا يصالحه على شيء أبدا ، اذا لم يبدأ نفاذ العهد بولده . فلم يسعه صلى الله عليه وسلم الا أن يجيبه لم أراد ، تحقيقا لما شرطه له . ويا لهول ما عاناه المسلمون آنذاك ، وهم يرون مأساة ذلك الأخ المؤمن يعذب ، ويرد الى الكافرين ليضاعفوا بلاءه ، دون أن يستطيعوا له نصرا ! وقد بلغ ألمهم ذروته ، وهم يستمعون اليه يصرخ بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ، أأرد الى المشركين يفتنوني في ديني ؟! » وحتى الرسول عليه السلام نفسه لم يملك الا أن يقول له : « يا أبا جندل ، أصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله . وانا لا نغدر لهم . » ويغرق المعسكر في الصمت الرهيب التزاما لأمر رسول الله . ويمضي «سهيل» الكافر بأبي جندل المؤمن على أعين الناس فلا يطيق عمر الا أن يمشي الى جنبه يحرضه على اخلاص نفسه بنفسه ، قائلا : « اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وانما دم أحدهم دم كلب» . يقول له هذا ، وهو يدني قائم السيف منه رجاء أن يأخذه ، فيضرب به أباه . ولكن مشيئة الله غلبت ارادة عمر ، فضن أبو جندل بأبيه ، ومضى معه طاعة لأمر نبيه ، موطنا العزم من جديد على أن يتحمل أضعاف ما تحمل في سبيل دينه القويم .

وتمر الأيام ، ويأخذ المسلمون في اقتطاف ثمرات تلك الهدنة ، ويفهمون يوما فيوما لماذا استحق ذلك العهد القاسي أن يسميه الله فتحا ، وينزل في شأنه على نبيه ، أثناء العودة من الحديبية الى المدينة ، سورة من كتابه الخالد باسم « الفتح » . فقد كانت العلاقة بين مجتمع المسلمين ومجتمع الكافرين قائمة على أساس الحرب ، فلا مجال لأي تلاق أو تفاهم بين الفريقين ولكن الهدنة المكتوبة قلبت الأوضاع ، ومنحت للمسلمين حرية الحركة ، اذ ألغت حالة القتال ، فأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا في الحديث والمنازعة ، وبدأ المسلمون يجدون من المشركين آذانا تصغي ورؤوسا تعقل ، فهم أحرار في اقامة صلواتهم وابراز مكنوناتهم ، وعرض دينهم على أي الناس شاءوا . وقد شرعوا يجنون محصول الخير باقبال الناس على الاسلام سرا وجهرا

ولا جرم أن من شأن ذلك التوفيق أن يخفف الكثير من أسى الصحابة على أخوان لهم لا يزالون محتجزين في سجون مكة ، يفتنهم أهلوهم ليصرفوهم عن الحق الذي حرر نفوسهم من كل عبودية لغير الله الى الباطل الذي يصر آباؤهم على التشبث به استبقاء لزعامات أو منافع زائلة . وهيهات لهم أن يتناسوا مشهد «أبي جندل» ، مقيد الرجلين بالحديد ، وأبوه ممسك بتلابيبه ينتره ويضربه ، سائقا اياه في طريق مكة ليعيده الى محبسه ، دون أن يجرؤ أحد على اعانته بكلمة .

• • •

وتتفتق جراح لم تكن قد برئت بعد بالمأساة الجديدة التي أثارها قدوم المسلم الهارب بدينه من طواغيت مكة « أبي بصير عتبة بن أسيد ابن جارية » .

لقد وصل « أبو بصير » الى المدينة بعد عناء طويل ، وهو يتوقع أن يجد مأمنه في كنف رسول الله وأخوانه من المهاجرين والأنصار ، فيخلص من الفتن التي عانى منها الكثير ، وينعم بحظه من خيرات الوحي ، الذي يتقلب في ظلاله هؤلاء السعداء من تلاميذ النبوة في منجاة من كل ما يعكر عليهم سعادتهم . ولكن شاء الله أن يصادف قدومه المدينة وصول رسولين جاءا بطلبه من قبل قريبيه أزهر بن عبد عوف ، والأخنس بن شريق . فما أن مثل بين يدي نبي الله حتى فوجيء بمثل قوله عليه الصلاة والسلام لأبي جندل قبله : « يا أبا بصير ، انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر » . ويستعطف أبو بصير رسول الله بقوله : « أتردني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟! » .

ويكرر الرسول أمره الحاسم ، ممزوجا بالبشرى الواعدة : « يا أبا بصير ، انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » .

ويسمع المؤمنون رد نبيهم على استعطاف أخيهم ، فيتحرقون ألما ، ولكنهم لا يحركون ساكنا من اعتراض أو شفاعة ، اذ لاحق لهم في شيء من ذلك اذا قضى الله ورسوله أمرا . ويخضع «أبو بصير» لحكم النبي ، فيعود مع الرجلين غير مراجع ولا متردد ، مشيعا بأبصار ودموع أخوانه الذين لم يملكوا له الا الزفرات يرسلونها وراءه في أسى لاذع .

وكانت سوْرة الألم في ذروتها عندما شاهد الناس أحد الرسولين ذاهلا يركض باتجاه المسجد . وما أن وقع عليه بصر رسول الله حتى استشف واقعه النفسي ، وقال : « ان هذا الرجل قد رأى فزعا » . وانتهى الرجل الى مجلس النبي من المسجد ، وهو يلهث من التعب الذي أوشك أن يأخذ بخناقه ، فسأله عليه الصلاة والسلام : « ويحك ما لك ؟ » . قال : قتل صاحبكم صاحبي . وهدأ قليلا يسترد أنفاسه ، ثم جعل يشرح مجمل قوله في كلمات ممزقة : لقد انتهينا الى ذي الحليفة ، وجلسنا نستريح في ظل أحد الجدران ونظر «أبو بصير» الى سيف صاحبي ، فأعجبه وسأل : « أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ » ، فقال : نعم . قال : « أرني أنظر اليه » ، فأذن له ، واذا هو يستله ثم يخطف به رأسه .

وأطل «أبو بصير» من مدخل المسجد متوشحا بذلك السيف ، حتى وقف على رسول الله ، فقال : « يا رسول الله ، وفتْ ذمتُك ، وأدى الله عنك . أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعبث بي » .

واستحوذت الفرحة على نفوس المؤمنين ، وهم يشهدون هذه الأحداث ، وتطلعوا كلهم الى وجه قائدهم المعصوم يترقبون قراره الأخير ليعرفوا مصير أخيهم أبي بصير .

ولم يكن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أيسرهم اعجابا بعمل عتبة هذا ، بيد أنه لا يملك أن يغير حكمه في شأنه ، فاكتفى من الكلام بهذه العبارة العميقة الموحية : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » .

ومرة أخرى يخضع أبو بصير لحكم القائد المفدى ، فيغادر المدينة الحبيبة ، ولكنه لا يقصد الى مكة ، لأنه لم يكن بوسعه مواجهة المحن الجديدة التي كانت تنتظره هناك بسبب قتله رسول قومه ، علاوة على الفتن الرهيبة التي لا مندوحة له عن تحملها بسبب هروبه بدينه .

• • •

واتخذ «أبو بصير» مقره في « العيص » ، من ناحية «ذي المروة» على ساحل البحر الأحمر ، ووجد خلال أشجاره الكثيفة ، وأوعاره العسيرة خير مأوى لمطارد مثله . وكانت عبارة الرسول في وصف شجاعته قد أخذت سبيلها على الألسنة حتى انتهت الى اسماع المفتونين والمحتبسين من مستضعفي المسلمين في قلب مكة ، فلم تلبث أن حركت عزائمهم ، ووجهت أفكارهم ، وتربصوا يراقبون الغفلات . وكلما أتيحت لأحدهم فرصة ، تسلل باتجاه ذي المروة ليلحق بالبطل الرائد « أبي بصير » . وهكذا لم تمض سوى فترة يسيرة حتى تجمع حوله ما يقارب سبعين رجلا ، على رأسهم أسير يوم الحديبية « أبو جندل » ابن سهيل ، خطيب قريش الكافرة وأحد طواغيتها الكبار .

وتمكنت العصابة المؤمنة في طريق قريش الذي لا تستطيع تجنبه أثناء رحلة قوافلها ومسافريها ، فلا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ، ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها ، وكان ذلك كافيا لاثارة البلابل في مكة ، التي كل كيانها قائم على التجارة ، ولا كالتجارة شيء تتوقف حياته على أمن الطريق ، ويستدعي الحفاظ على سلامة الرفيق ، وقد بات هذا كله مهددا بالانهيار ، منذ قيام هؤلاء المساعير في تلك البقعة الحساسة من سبلهم . فتجارتهم الجماعية ، التي لا يكاد يخلو من العلاقة بها قرشي غنيا كان أو متوسطا ، الى كساد ، واقتصادهم ، الذي هو مركز الثقل في كيان الجزيرة العربية كلها ، معرض للدمار الشامل . ولو كان الخصم جيشا لاستعدوا لحربه ، ولأملوا بالانتصار عليه ، ولكنه عصائب لا تقبل الدخول في مواجهة مكشوفة ، بل تؤثر عليها الغارات المفاجئة تصبها على قريش من حيث لا تتوقع في ليل أو نهار ، فهي تضرب وتهرب ، وتظهر من هنا حينا وتظهر من هناك حينا آخر .. فلا تدري القافلة كيف تتجنب المغيرين ، ولا يعلم المسافر من أين ينقض عليه البلاء المبين ! .

لقد زلزلت الأرض كلها تحت أقدام قريش ، وعجزت كل وسائلها وشجاعتها وعنجهيتها عن درء هذا الخطر الحائق الخانق ، وكان لا بد لقادتها من البحث عن المخرج المنقذ ، فاجتمعوا وافترقوا ، ثم فكروا ونظروا ، ثم عبسوا وبسروا .. فلم يجدوا أمامهم سوى منفذ واحد لا ثاني له ، هو اللجوء الى « محمد » .. محمد الذي أخرجوه وكذبوه وحاربوه وبذلوا عشرات المحاولات لاستئصاله ودعوته والمؤمنين بها والمناصرين له بأقسى وأظلم الوسائل الوحشية حتى التجويع والتعذيب والقتل ... محمد هذا الذي منعوه قبل عام حتى من دخول مكة لأداء العبادة ولتعظيم البيت وللاحسان الى أهله ، واستغلوا بره بهم ففرضوا عليه أقسى عهدة تعطيهم كل شيء ولا تكاد تعطيه شيئا .. يضطرون اليوم الى اللياذ به ليسألوه الغاء احدى بنود تلك المعاهدة التي كانوا يحسبونها كسبا لهم لا يضاهى ، ولكنهم مع ذلك لا يملكون الا هذه الوسيلة لانقاذ تجارتهم واقتصادهم وأمنهم . ولو كان خصمهم غير محمد لخشوا أن يستغل حاجتهم اليه ، فيغالي بثمنها حتى يفرض عليهم ما يذل كبرياءهم ، غير أنهم واثقون من عظيم نبله ، وسمو خلقه ، وسعة رحمته ، فلن يضن عليهم باجابة ما يسألون ، ولن يكلفهم فوق الذي يطيقون .

• • •

ويصل موفد قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا كتاب صناديدها الذي ، على الرغم من براعة عبارته ، كان وثيقة اعتراف كامل بذلتهم أمام عزته ، وضعفهم أمام قوته ، اذ يرفع رجاء قريش اليه ، وإلحاحها بحق الرحم عليه ، أو يؤوي أولئك الثائرين ، فيريحها من سطوتهم ، ويكف عنها سيوفهم ، التي ذهبت براحتها ، وكادت تودي بمهابتها ، أمام قبائل الجزيرة كلها .

ويبرز القائد الحكيم على استعطاف أعدائه ، فيبعث الى العصبة الذائدة عن دينها وحريتها يأمرها بوقف أعمالها والالتحاق به في المدينة ، التي حرمهم منها وفاؤه بالعهد ، وظلم ذوي قرباهم الذين أبوا الا فتنتهم عن دينهم ، واكراههم على العودة في ملتهم .

وكان ذلك أحد الانتصارات الكبرى التي حققتها للمسلمين تلك العهدة المباركة ، التي عجزت عقولهم عن تفسيرها يوم عقدها ، ثم جاءت الأحداث تؤكد أنها كانت في الحق « فتحا لم يعرف المسلمون قبله أعظم منه » ■

محمد المجذوب – المدينة المنورة

مناجاة

للشاعر محمد رضا آل صادق

إلهي أنت حِصْني في الملمّات وفي الخطبِ
وأنت رجائيَ السمْحُ الذي أدعوه في الكرْبِ
هُرعْتُ إليك في سُؤْلي وجئْتُ لبابِكَ الرحْبِ
فَخُذْ بي واهْدِني للخيرِ إنّي تائِهُ - خُذْ بي
ووفّقْني لما يُرْضيكَ واعمرْ بالتُّقى قلبي
وألْبِسْني ثَوْبَ الحسْنِ واعصمْني من الذّنْبِ
وظلّلْني بأفيائِكَ يا ذا العَفْو والتّوْبِ
فليْسَ سواك لي مَنْ أستعينُ بهِ على الصّعبِ
وكم ذَلّ الذي قد ضلّ واستنأى عن الدّرْبِ
ولمْ يعرِفْكَ يا ذا اللُّطْفِ أنك خالقُ الحُبِّ
وأنّكَ مُنْبتُ الشجر الوريقِ وناشرُ الخصْبِ
ومحْيي الأرضَ بعْدَ الموتِ إنْ أومأْتَ للسُّحبِ
إلهي أنت خلاّقي وانكَ سيّدي حسْبي
عليك معوّلي ما عشْتُ في دنيايَ يا ربّي

محمد رضا آل صادق – النجف





خداع السّراب وحقيقته الكاذبة

يلاحظ السراب في وضح النهار وقت اشتداد الحر ، ويبدو وكأنه ماء تنعكس على صفحته البيوت والأشجار والمباني . ويضرب به المثل في الخداع فيقال : « هو أخدع من السراب » . وللسراب قصص كثيرة تروى ، وله أساليب وطرق خاصة في خداع البصر وتضليله .

فقد حدث في صيف احدى السنوات القليلة الماضية أن أقلع طيار بطائرته المائية من فوق خليج المكسيك باتجاه الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية . وفي أثناء الرحلة تعرض محرك الطائرة الى خلل حين اقتربت من ولاية « أريزونا » . وعندما تفحص خرائطه ، اكتشف أنه يحلق فوق سهول « هادو » الفسيحة بمقاطعة « كوتشايز » ، فشعر بالارتياح ، اذ تذكر أنه سبق له أن اجتاز هذه السهول بواسطة القطار في الشتاء المنصرم ، وانه رأى حينذاك عبر نافذة القطار بحيرة يبلغ طولها نحو عشرة أميال . وعندما مد بصره عبر زجاج طائرته تراءى له خيالات الجبال المحيطة بالبحيرة منعكسة بوضوح على صفحة مياهها ، وكأنها توحي له بأن يهبط بسلام على سطح مياهها الحلوة الرقراقة . ومن ثم وجه مقدمة طائرته الى أسفل واندفع بسرعة نحو البحيرة التي سرعان ما تلاشى ماؤها فجأة ، فنزلت الطائرة محطمة ونجا هو من الموت بأعجوبة . واكتشف فيما بعد أن خداع البصر اضطره الى أن يهبط في وسط حوض بحيرة جاف .

ولعل الطبيعة قد لعبت دورا يفوق الخيال فيما حدث للطيار فقد سبق له أن شاهد هذه البحيرة بمائها الرقراق من خلال نافذة القطار الذي كان يستقله في الشتاء الماضي . وحقيقة ما حدث هو أن البحيرة تمتلىء الى حافتها في فصل الشتاء بسبب الأمطار المنحدرة اليها من الجبال المحيطة بها ، ثم تجف في فصل الصيف بسبب حرارة الشمس ، غير أن قعرها الأملس يعطي انعكاسا دقيقا تتسلط عليه أشعة الشمس المتلألئة ، فتكوّن بذلك بحيرة خيالية مع الأطياف المنعكسة للجبال المتاخمة لها .

والسراب قلما يكون صافيا جدا ، بيد أنه يخدع مشاهديه ، حتى العلماء ذوي العقول المتوقدة منهم ، على نحو ما جرى للأدميرال « روبرت بيري » ، مكتشف القطب الشمالي ، والذي وقع ، دون أن يشعر ، في سلسلة من الأخطاء كادت أن تحمل احدى المؤسسات العلمية على أن تقوم بالتنقيب عـــن سلسلة من الجبال لم يكن لها وجود على الاطلاق .

وقد بدأت قصة هذه الجبال الوهمية عندما قام « السير جيمس روس » وعمه « السير جون » بالابحار عبر خليج « بفن » داخل مضيق « لانكستر ساوند » في رحلة باتجاه الشمال الغربي عبر رأس القارة الأمريكية ، فوجدا الممر محجوزا من الناحية الغربية بسلسلة هائلة من الجبال ، فعادا أدراجهما الى انجلترا معلنين فشلهما ، وكان هذا في عام ١٨١٨ .

وفي عام ١٩٠٦ ، أكد الأدميرال « روبرت بيري » اكتشاف « روس » ، غير أن قطع الجليد الطافية على سطح الماء أعاقت محاولته لرسم خريطة للجبال من مدى قريب ، فوضع علامات على خرائطه تمثل منطقة « كروكر لاند » التي لم تكتشف بعد ، وقدم معلوماته الى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي .

وفي عام ١٩١٣ ، أرسل المتحف « دونالد ماكميلان » ، الخبير في منطقة القطب الشمالي ، الى « كروكر لاند » لينقب عنها ويرسم خريطة لها . وبعد رحلة مضنية بانت لـــه الجبال الخادعة بعيدة الى الغرب عن الموقع الذي حددته العلامات المبينة في الخريطة . فأخذ ماكميلان ، ومعه فرقة من المتطوعين ، يجتازون منطقة الجليد الوعرة في متابعة جدية للجبال التي تتقهقر أمامهم ، حتى تلاشت تماما . ووجدوا أنفسهم أمام قطعة كبيرة مسطحة من الثلج تمتد الى الأفق البعيد .

والسراب يشاهد على الطريق في الصيف القائظ عندما تتراءى للمرء برك الماء التي تتلاشى كلما اقترب منها ، الأمر الذي حار فيه العلماء .

والمعلوم أن الهواء القريب من سطح الأرض يكون شديد الكثافة بفعل عامل الضغط الجوي . فأشعة الضوء التي ترسل أطياف الأجسام الى المشاهد تنكسر وتنعطف الى أسفل لدى مرورها ببطء شديد خلال طبقات الهواء الكثيفة هذه . والانكسار يكون بسيطا جدا ، وقلما يلاحظ ، بخلاف انكسار القصبة في كأس من الماء ، حيث أن فروق الكثافة بين الهواء والماء تجعل انكسار القصبة في الماء واضحا تماما . هذا ، وان الانحراف البسيط لموجات الضوء في الهواء خلال الانكسار العادي يلاحظ مباشرة ، اذا اختلفت كثافة الهواء لسبب من الأسباب . وهذا يحدث غالبا عندما يقوم سطح مشع للضوء ، كالأرض الساخنة ، أو الماء الساخن نسبيا المحصور بين قطعتين من الجليد الطافي ، بتسخير طبقة من الهواء السطحي فتتمدد وتقل كثافتها كلما ارتفعت درجة الحرارة . وعوضا عن انكسار أشعة الضوء الى أسفل ، يقوم السطح المشع بامالتها الى أعلى وحملها بعيدا عن مكانها الطبيعي ، فتكون نتيجة ذلك ما يعرف « بالسراب » .

أما الأحوال التي تساعد على حدوث السراب فهي استواء الأرض وسكون الهواء ووجود فروق في الكثافة بين طبقات الهواء السطحية ، وعليه فالسراب الكامل قليل الحدوث .. وهذا ما يجعله أقرب الى الحقيقة والواقع . فحين يهب النسيم برفق في تلك الأحوال ، تتراءى لـنـا بحيرة سراب تنكسر موجاتها الطويلة على الشاطيء ، بينما يبقى خط الشاطيء ذاته ثابتا في مكانه على نحو لا يمكن تعليله . وليست الأرض المسطحة في حد ذاتها عاملا أساسيا على تكوّن السراب ، فهو يحدث في المناطق الجبلية أيضا ، كما هو الحال في منطقة جبال الألب . فكثيرا ما يحدث أن متسلقي الجبال يشاهدون خلال صعودهم أطيافا هائلة معلقة بالسحب تبعث في نفوسهم الهلع والفزع ، فيفقدون توازنهم ويسقطون من عل ليلاقوا حتفهم . وما تلك الأطياف التي تبدت لهم سوى سراب عكس صورهم بحيث بدت على البعد وكأنها أشباح مرعبة . فبقع السراب ، مهما أصابها من تشويه ، هي في الواقع صور لأجسام حقيقية .

وكثيرا ما يشاهد المسافر في الصحراء بركة ماء محاطة بأشجار النخيل ومكسوة بالجمال ، والواقع أن أطياف الأشجار تنقل بواسطة موجات حرارة غير عادية الى مئات من الأميال ، أو ربما تكون مجرد كوم من الأعشاب أو شجيرات العليق كبرتها موجات الحرارة ، فأصبحت تشبه غابة من أشجار النخيل الضخمة . والماء ، كما هو الحال في جميع بقع السراب تقريبا ، هو انعكاس لأديـــم السماء الزرقاء الصافية .

ويرجع الفضل في أول شرح علمي لظاهرة السراب الى الفيزيائي الفرنسي « جسبرد مونج » الذي رافق نابليون أثناء حملته الفاشلة على مصر سنة ١٧٩٨ ، حيث أصيب جنوده بكارثة بسبب ماء لم يكن له وجود هناك . وكانت مكابدة الجنود في الصحراء هي التي دفعت الفيزيائي « مونج » الى اكتشاف سرّ هذه الرؤى المعذبة ، فتوصل الى الاستنتاج الصحيح ، وهو أن الكثافات المتباينة للهواء القريب من السطح المسببة بواسطة الدرجات المتباينة في الحرارة تسبب حدوث السراب . وقد لاقت وجهة نظره قبولا بين الأوساط العلمية في العالم ، ولم تعدل نظريته الا من حيث تصنيف السراب الى ثلاثة أنواع ، هي العلوي والسفلي والمزدوج .

فالسراب السفلي يشمل برك الماء وواحات أشجار النخيل ، ويسببه انعكاس موجات الضوء الى أعلى بعيدة عن سطح الأرض . والسراب العلوي ما هو الا مرآة مزدوجة للسراب السفلي ، غير أنه في السراب العلوي تنكسر موجات الضوء أولا الى أعلى ، ثم الى أسفل ، فتعكس الطيف . وقد شوهد برج « ايفل » مرارا كثيرة ، واقفا على رأسه . وشبيه بذلك سراب السفينة المبحرة بهدوء في عباب البحر ، وهي تبدو معلقة في السماء ومنقلبة رأسا على عقب . والسراب المزدوج هو مزيج من السراب العلوي والسفلي ، وقليلا ما يشاهد . وهناك نوع من السراب المخادع للنظر ، وهو نادر الحدوث ، ويسمى بالسراب الجانبي ، ويمكن مشاهدته — اذا ما ضربت جماعة خيامها — على الجانب الآخر من الجبل المقابل لها .

وبقع السراب ظواهر طبيعية يمكن رؤيتها ، وبالتالي يمكن رسمها وتصويرها ، غير أنها لا تزال تحتاج الى مزيد من التعليل . فهناك قانون في الفيزياء مفاده أن الحجم الظاهر لجسم ما يتضاءل بمقدار يتناسب طرديا مع مربع بعده عن الشخص المشاهد له . وهذه الظاهرة لا تنطبق على بقع السراب ذات المسافات البعيدة التي تحمل أطياف الأشجار والسفن والبنايات والأجسام الأخرى مسافة مئات الأميال ، فتنعكس في السماء أو على أرض يابسة بدون تصغير في الحجم .

والملاحظ أن السراب يظهر في الصحاري بانتظام كل يوم تقريبا . وفي بعض الأماكن يحدث السراب موسميا ، وفي غيرها لا يحدث على الاطلاق . ففي قرية بولاية « ماريلاند » الأمريكية لم يشاهد السراب الا مرة واحدة خلال مائة سنة من تاريخها ، وقد ظهر على شكل سقوف مقببة في السماء التي فوقها ، يمكن أن تكون انعكاسا لمبان في شمالي أفريقيا أو الشرق الأوسط . فالسراب من خواصه الخداع . فأقراص الثلج كثيرا ما تتحوّل الى جبل ثلج عائم يخيف البحارة فيقومون بتعديل اتجاههم ليتجنبوا الاصطدام . والشجيرات تبدو وكأنها غابات كثيفة ، والصخور ذات الأحجام المختلفة كقمم الجبال ، والشاطىء المغطى بالحصى يصبح كمنطقة صناعية بدخانها المتصاعد الذي نسجته الطبيعة من زبد أمواج البحر .

هذا ، وعندما قدم المنقبون عن الزيت الى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية لأول مرة ، واجهوا صعوبات شديدة بسبب السراب . فقد بانت لهم كثبان الرمال وكأنها سفوح الجبال ، وشجر النخيل كالغابات ، والجمال مع خط الأفق كالصوامع ، وقرية الجبيل الوادعة بمبانيها الصغيرة كناطحات السحاب في نيويورك .

وفي عام ١٩١٨ حينما توغل الجنرال البريطاني « ألِنبي » في فلسطين واجه مفرزة تركية فهاله عددها ، الأمر الذي حدا به الى التوقف وعدم الاشتباك معها . وفجأة شاهد الأتراك يرحلون بسرعة تاركين أرض المعركة . فقد شاهد مركز حرس الحدود التركي ، تقدم تعزيزات بريطانية كبيرة الى أرض المعركة ، فأشعر قواد الجيش التركي بذلك . وحقيقة الأمر أن مركز الحدود شاهد بالفعل انعكاسا للتعزيزات البريطانية ، ولكنها كانت على بعد نحو مائة ميل .

ومن السراب ما شاهده الجنود الذين تحصنوا في قلعة « ابراهام لنكولن » في ولاية « داكوتا » الجنوبية . فقد خرج الجنرال « جورج كستر » مع ٢٦٤ شخصا من جنوده عام ١٨٧٦ قاصدا القضاء على جنود القلعة ، ولم يكن يعلم أنه قد سيق الى حتفه ، اذ شاهد بعض حراس القلعة فصيلا من الجنود انعكست أطيافهم في السماء ، فأنذر جنود القلعة الذين أخذوا حذرهم وأهبتهم . ووقعت بين الفريقين معركة عنيفة قضي فيها على الجنرال « كستر » ورجاله . وهكذا لعب السراب دور النذير ، فكان ما كان ■

عيسى مسلم – من هيئة التحرير





من حصاد الكتب

الباحث عن الحقيقة

تأليف الراحل : الاستاذ محمد عبدالحليم عبدالله
عرض وتعليق : الاستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي

قصة بطل متفائل كريم ، قصة سلمان الفارسي ، الذي لمعت الحقيقة العظيمة في قلبه ، فهجر أهله ودينه وبلده ، أصفهان ، في رحلة جسور ممتلئة بالمخاطر الى أرض الجزيرة ، حيث أشرق النور في الظلمات وأضاء الاسلام ، فاعتنقه سلمان ، وعانق الحقيقة في النبي المختار .

والخير كل الخير أن نقرأ هذا الكتاب القيم الشهي ، لنعلم أن العواصف المخيفة في الدنيا ، العواصف التي تنتظرنا ، يمكن التغلب عليها ، بمجاهدة الضلال ، لنصل الى المياه الهادية للحكمة .

قص الصديق عبد الحليم قصة هذا البطل في اروع ثوب ، وفي أبهى أسلوب ، فجمع الى بلاغه اللغة سيولتها ، وكشف عن قدرته الفائقة في ملكة التعبير .

وليس تعبيره وحده ، هو الذي بهرني ، ولكن بناءه الروائي أيضا . ففي هذا البناء ، تجمعت العناصر الروائية التي تجعل منه بناء موحدا محكما . وأول هذه العناصر ، احكام التتابع ، ودقة الخطو : « Pacing » . فهو في قصته يجمع الأحداث الكبيرة في تنظيم ، وتنقية ، ولا يضم اليها أحداثا صغيرة تعد من النوافل ، أو الأعشاب في الحديقة الغناء ، وهو يسير في فصوله السبعة هذا السير المحكم المتصل ، فيبدأ كل فصل ببداية جاذبة ، وينهيه بنهاية حافزة أو بنهاية فيها ترقب لما سيأتي .

أما العنصر الثاني في البناء ، فهي وجهة النظر التي سار عليها ، وجهة نظر موضوعية ، واضحة وطبيعية ، وأقصد بوجهة النظر هذه سرد القصة بضمير الغائب ، ولم يغادر هذه الوجهة الا اذا ترك الاشخاص تتحدث ، فهو لم يغير وجهته ، بل كانت وجهتـــه مستقرة ، لم يخلخلها بادخال نفسه ، كما يفعل بعض كتاب القصة أو الراوية المعاصرين .

أما العنصر الثالث في جمال البناء ، فهو « دقة التهذيب — Polishing » ، في انتقاء الحدث وانتقاء التعبير ، ومراجعة ما يكتب في يقظة وحذر .

والعنصر الرابع ، هو ما جرى في هذه القصة ، من صراع نفسي داخل البطل ، وصراعه مع الناس والأحداث ، وان كان الصراع خفيفا ، هينا ، لأنه يروي قصة بطل .

فبهذه العناصر الأربعة ، جمُل البناء ونبُل ، وكان المؤلف في القصة روائيا قبل كل شيء ، يحمل قلب الشاعر وذهن الفيلسوف ، كان روائيا اتى من التاريخ بمادة لماحة ، ومن خياله بمادة مبتكرة ، فجمع بين الابتكار واتقان الصنعة ، لانه شعر بموضوعه شعورا عميقا ودبجه في مزيج من الصوفية والفكرية ، اللتين ينزع اليهما مزاجه .

ولسنا ممن يميلون الى تلخيص العمل الأدبي ، ولا الى اعادة أحداثه ، فذلك مما يخدشه بل يضيع نكهته ، ويوهن حيويته ، ومع هذا نرى أن نذكر

مجملا لوقائعه لاعطاء صورة جد صغيرة عما حواه هذا الكتاب :

ها نحن أولاء ، في قرية « جي » باصفهان التي يسكن فيها شاب فارسي ، يعيش في بذخ وترف ، في ضيعة وبين أسرة تعبد النار ، وتعلم الشاب من رجال الدين ، أن النار هي الرب ، فخطر في حدسه انكار ، لأن النار يشعلها الانسان ويطفوءها ، ورأى أباه يضرب بسوطه راعي حظيرة الحيوانات ، فتأثر وتضرع الى أبيه أن يتركه ، لكراهيته للقسوة والظلم ، وتقدم الشاب الى الراعي فاحتضنه على مرأى من أبيه ، فهم الأب أن يضرب ابنه الحبيب الى قلبه ، الذي كان يعتبره قطعة منه . وهنا ذكر أن كتب المجوس لم تفعل شيئا في سبيل سعادة الانسان .

وتأخر الشاب الفارسي يوما عن العودة ، فزعجت الأسرة ، وبصفة خاصة أخته « بوران » الحسناء ، التي كانت تحبه ، وعند عودته سألته : أين كنت؟ « قال : وجدت شيئا لم تره عيناك « وجدت الله » ، فسمع الوالد ما قال . وهاج ، وأمر بتكبيل رجليه وقدميه ، وحبسه في حجرة كان بها سيف ، فتمكن بقوته من أن يقطع حبال قدميه ورجليه .

وخرج في الظلام ودق باب الراعي ، وخلع ملابسه المزركشة الغالية ، وارتدى ملابس الراعي ، وسار في طريقه على غير هدى .

وفي طريقه وجد قافلة ، فانضم اليها ، وفي موءخرتها سمع غناء جميلا تأثر به ، فذهب الى المغني وعرف أنه عربي ولكنه يعبد الوثن ، وتعاطف الرجلان وافترقا : « الفارسي » عند مدينة « آمد » مع النصارى ، و « سهيل » مع بعض صحبه . وفي الوداع قال الفارسي :

لكأني أيها العربي ، أشعر كأن شيئا من دمكم يجري في عروقي . وترك « سهيلا » ، وسار الى « عمورية » من بلاد الروم ، والتقى بعابد هناك يعيش في صومعة وحده ، يزرع وينسج ، فتعلم منه ، وأعجب الحبر العابد به ، حتى قال له يوما :

«أنت خير مني أيها الشاب » ، فعض الفارسي شفته استعظاما واستنكارا ، « لا تعجب فأنت تركت ارضك وأهلك والمراكب وخرجت تبحث عن الحقيقة لأنك لم تجدها في شيء مما حولك . لم تجدها في بريق الذهب ولكنك ربما تجدها فوق رأس نخلة وأنت تحصد، أو تحت أقدامها وأنت تزرع ، ستجد الحقيقة التي هي الطريق الى الله ، ستجدها في أرض تزرع الفضائل . »

ورغب الفارسي الى العابد أن يقص عليه قصة حياته ، فاذا هي قصة عجيبة لعب فيها خيال الموءلف دورا كبيرا .

كان أبوه صيادا . غرقت أمه وأبوه في مركب. انتظرهما ، فلم يعودا . التمس من الله عودتهما .

ثم تراءى له أبوه وأمه يخرجان من الماء كأنما يستحمان ، وسألاه هل تريدنا حقا ، ودلفا الى الشاطىء ، فاذا بهما بنصفهما الأعلى انسان والثاني سمكة ، فطلب الى الله أن يعيدهما كما كانا ، كيلا يموتا ميتة أخرى على الأرض .

واحترف بعدهما صيد السمك ، ولكنه عافه ، فرغب في صيد اللوءلوء ، واستقل مركبا ، وهبت عاصفة ، فسبح في الماء متعلقا في صندوق ، وأنقذته مركب . وذهب الى جماعة من الرهبان كان يسمع منهم ، ويعشق ما يقولون .

وهنا نلحظ تحول الرجل العابد من الحرفة الى العبادة والتبتل ، والبحث وراء الحقائق الأبدية .

وقد عزز الأستاذ عبد الحليم عبد الله هذا التحول بوقائع مادية واتصالات روحية . وكنت أود أن يفعل ذلك في بيان حوافز تحول الشاب الفارسي الى هذه الناحية الروحية ، ولكن الأسباب التي قدمها في بداية الرواية غير مقنعة . فكثير من الشبان في قرية « جي » عاشوا عيشة هذا الشاب ، ولكن أحدا منهم لم يهجر دينه ، فلم حدث هذا التحول الى هذه الناحية ؟ هل هذا راجع الى بصيرة الشاب ووعيه النفاذ ؟ او أنه راجع الى عزلة اعتزلها ، وتأملات أرسلها في الفضاء ؟ لقد مر الموءلف مرا سريعا على هذه الناحية .

ولبث الفتى فترة طويلة قضاها مع العابد . سمع منه أقوالا حولته وجهة أخرى ، فقد كان في بداية أمره يريد الاتصال بالنصارى ، ولكن أثر هذا العابد كان قويا وموجها ، اذ قال له مرة .

« قد أظلك زمان نبي يبعث بدين ابراهيم حنيفا يهاجر الى ارض ذات نخل بين حرتين فان استطعت أن تذهب اليه فافعل . »

وفي يوم عاد الفتى الى العابد، فوجده منكبا على منسجه ، وقد فارق الحياة .

ولم يجد الفتى مناصا من هجرة المكان ، فالتحق بقافلة يهودية ، فقبلوه بعد أن أخذوا متاعه وتقاسموه وكان على رأس الجماعة يهودي خشن ، ضاق به بعد أن أنفقوا ما أعطاهم ، وطلبوا اليه الابتعاد عنهم ، أو بيعه رقيقا ، فقبل ، وباعوه الى « أبي يعقوب » ، فكلفه ما لا يطيق . بنى له بئرا ، وزرع أرضه . ثم اعتزم « أبو يعقوب » السفر الى الهند ، فذهب لبيعه الى يهودي آخر ، ولكن هذا الأخير رفض قائلا :

« ليس مثل هذا الروح نستعبد ، وليس يتغير جوهر المسك ان سميناه طينا . يا « أبا يعقوب انك في قرارة نفسك تحس أنه سيدك » .

ومرت قافلة من يهود بني قريظه ، فباعه لرئيسها « ابو كعب » بخمسة آلاف من الدراهم ، وسار الفتى معهم قريرا ، لانه سيذهب الى الجزيرة ، وتطلع الى السماء ، فكأنما انبثق منها نور وعطر ، لانه ذاهب الى أرض الحبيب . وكان يصاحب القافلة « سهيل » الذي كان يغني :

يا نخل تحت ظلــك الحبيــب
يا ليت لي في القرب من نصيــب

فيشجى بغنائه ، ويستعيده .

ولدى « أبي كعب » ، عاش الفتى ، يزرع له ، وينسج . وزاره يوما رجل قصير القامة ذكي الفؤاد حلو الحديث ، في عينيه قلق وجمال ، ودق بابه ، ليتعلم منه على المنسج . سأله ما اسمك؟

قال « حسان بن ثابت » ، وأخذ يقص عليه طرفا من أخبار النبي الكريم . وفي احدى الليالي غادر حجرته ، وذهب الى دار «أبي أيوب بن زيد» حيث كان يقيم النبي ، وسأله عليه السلام : من أنت ؟ أنا « سلمان الفارسي » . وبهذا كشف المؤلف عن اسم بطله ، بعد أن ملأ قلمه « ١١٧ » صفحة من الرواية ، وهذه براعة روائية ، لا ريب فيها .

وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم تمرا ، فأكل منه أصحابه ، وامتنع عليه السلام عن أكله لأنه صدقه ، فالنبي لا يأكل من صدقه . وأتى له ثانية بتمر هدية ، فأكل منه . وبهذا عرف تماما أن هذه من علامات النبي التي أخبره العابد بها ، فدخل في الدين الجديد .

هذا موجز للرواية ، حيث وجد «سلمان» ، الحقيقة ، فلما وجدها عمل من أجلها . فحارب في صفوف المسلمين ، وأشار بعمل الخندق ، وبعد موت الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وفي خلافة عمر ، اشترك في حرب الفرس ، وكان يخطب أهلها بالفارسية ، وولاه عمر على المدائن ، وذهب الى ضيعة أبيه ، وعاد الى المدائن ينسج الخوص ، ويأكل من عمل يده ، وكانت أخباره تأتي عمر ، فيهز رأسه عجبا من سلوك « سلمان » من سلوك هذا الباحث عن الحقيقة . وبهذه الكلمات أنهى المؤلف روايته .

فماذا وراء هذه الرواية ؟ وماذا فيها من آراء أو حقائق ؟ انها ليست رواية فارسي اعتنق الاسلام بعد أن بحث عن الحقيقة ووجدها ، بل انها نموذج حي لكل انسان يسعى الى اكتشاف حقيقة عظيمة ، ويعمل من أجلها . فطالب الحقيقة ينبغي أن يكون انسانا له بصيرة ، ووعي ، لكي يدرك ما يصبو اليه . والحقيقة على درجات ، منها : الحقيقة العظيمة ، والحقيقة الكبيرة ، والحقيقة الصغيرة ، كما أنها أنواع ، منها : الحقيقة الدينية والأدبية ، والاجتماعية ، وغيرها ، والحقيقة لها تفسيرها ومعناها عند الناس ، فهي مقيدة عند فريق ، ومحددة بحدود المادة عند فريق ، وغيبية عند فريق .

ولا يستطاع الوصول الى الحقائق العظيمة ، أو الكبيرة ، الا بالجهد والمشقة والتضحية ، ولا يرتفع مقام الباحث عنها الا اذا عمل من أجلها .

وبطل هذه الرواية كان يبحث عن حقيقة عظيمة ، هي الطريق الى الله ، وهي حقيقة مطلقة ، عظيمة ، مدركة ، بما تحمل من معاني الانسانية والأخوة والمحبة والسلام .

ومثل هذه الحقيقة العظيمة ، تتطلب من الباحث عنها ، عناء ومشقة وتضحية للوصول اليها ، أكثر من أي حقيقة أخرى .

وقد ضرب لنا «سلمان الفارسي» أروع الأمثلة بما لقي من عنت أبيه وقيده اياه بالحبال ، وبما وجد في طريقه من آلام ، بل من الرضا ببيع نفسه وهوانها لدى بعض اليهود ، حتى قبل أن يكون رقيقا يزرع الأرض ويجنيها لسيده .

والحقيقة الثانية التي تحملها الرواية ، هو أن التطور لا ينال اعتباطا ، ولكنه يقوم اولا على أساس روحي عميق ، وبصيرة نافذة ، وعلى وعي أصيل ، ويعقبها جهاد ونضال في سبيل التقدم الاجتماعي أو الاقتصادي أو الأدبي أيضا ، فلن يخلق جديد الا من روح صافية نبيلة ، ولن يحدث تطور الا من القلوب الصافية المؤمنة بالحقائق ، التي تعمل لها وتجاهد من أجلها .

فالتغيير أو التطور ، لا يتأتى من نفس مظلمة كدرة ، بل من نفس صافية . وثمت حقيقة ثالثة تتفرع من الحقيقة الاولى ، وهي أن العمل والديانة صنوان لا يفترقان ، كما يقول المؤلف « العمل والعبادة شيئان مباشران في نظري لا واسطة فيهما » . وقد أتى المؤلف على لسان عابد عمورية بحقائق نود الوقوف عندها ، اذ قال له : « ستجد الحقيقة المطلقة العظيمة التي هي الطريق الى الله ، ستجدها في الحب ، لا في الحرمان ، ستجدها في ابن ترعاه ، ليرعى غيره من عباد الله ، وفي زوجة تحبك وتخلص لك وتخلص لها ، وفي هذه الأرض تزرع الفضائل ...

وفيما ذكره المؤلف عدد من الحقائق الأخرى : حقيقة الانسانية في رعاية الابن ورعاية الغير ، وحقيقة الخلق الكريم والفضيلة ، وهي من الحقائق النفسية . وهذه الحقائق تدور في فلك الحقيقة الكبيرة ، حقيقة الايمان الحقيقي ، الايمان بمعناه الواسع .

هذه بعض انطباعات عابرة عن هذه الرواية ، التي جمعت بين القصة والشعر ، والفلسفة في وعاء أنيق شفاف ■

مصطفى عبداللطيف السحرتي — القاهرة



وجد الانسان على وجه البسيطة وهو أعزل ، تنقصه الوسيلة ، وتعوزه التجربة ، وكانت غرائزه الفطرية تدفعه الى الحصول على طعامه وشرابه والابقاء على نوعه وجنسه ، فكان يجني قوت يومه من بين ثمار الأشجار . وكانت هذه المرحلة البدائية هي الحلقة الأولى في سلسلة كفاحه الطويل في سبيل الحصول على لقمة العيش . ثم تلتها مرحلة أكثر تقدما ، وأدل على استقلال الانسان عن حتمية الطبيعة ، وذلك عندما عرف الزراعة واستنبت الأنواع العديدة من النبات ، حتى تمكن من هذه الحرفة ، ومن ثم قادته خطاه على مرّ العصور الى ما وصل اليه الآن من تقدم ملحوظ في مجال الزراعة .

ذلك كان عمله على اليابسة لكسب العيش ، أما في البحر فكان صيده للأسماك يعتبر خطا آخر موازيا لحرفة الزراعة ، الا أنه لم يصب فيه مثل ذلك التطور المبكر الذي أنجزه الانسان في حقل الزراعة ، فظلت حرفة صيد الأسماك حتى العصور الحديثة تتّسم بالبدائية التي يخضع فيها الانسان لعطاء الطبيعة ، وليس لديه ما يفعله سوى الادلاء بشباكه وانتظار ما يجود به الحظ عليه .

ومع تطور وسائل صيد الأسماك وابتكار القوارب والمصائد المجهزة بالمعدات الحديثة ، فان موقف الانسان من هذه الثروة السمكية لم يختلف اختلافا جوهريا عن موقف الانسان البدائي من الثروة النباتية قبل لجوئه الى حرفة الزراعة . فما كان في كلا الحالين الا جوابا للبحار والأنهار غايته جمع ما تجود به الطبيعة عليه من خيرات ، دون أن يعمل على تنمية هذه الخيرات وتطويرها .

كانت الأسماك بالنسبة للانسان ولا تزال تشكل عنصرا أساسيا في مجال تأمين قوته وغذائه ، ومع التقدم العلمي وتزايد اهتمام الانسان بغذائه وحاجاته الفسيولوجية ، برزت لديه أهمية هذه الثروة السمكية ، لغناها بمادة البروتين وبعض العناصر الضرورية لبناء الجسم .

هذا ، وتشير الاحصاءات الاقتصادية الحديثة الى أن ما يجنيه العالم من الثروة السمكية سنويا تربو قيمته على ٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار . والأسماك ، بجانب كونها غذاء أساسيا للانسان ، فانها تحتوي على عناصر ضرورية لبعض الاستعمالات الطبية والصناعية ، وتبعا لهذه الأهمية فان الأسماك أخذت تستأثر باهتمام العلماء والباحثين ، وأصبحت بالنسبة لبعض البلدان من الموارد الرئيسية التي تعتمد عليها في مجالاتها الاقتصادية . غير أن تنامي عدد السكان في العالم وتزايد اعتمادهم على الأسماك كغذاء رئيسي ، قد يفضيان الى حدوث نقص في محصول السمك . ففي اليابان مثلا ، يتوقع الخبراء ، أنه بحلول عام ١٩٧٧ ، سيكون هناك نقص في مورد السمك تقدر نسبته بنحو ٣٠٪ تقريبا . ولتفادي هذه المشكلة الغذائية ، يعكف العلماء حاليا على دراستها والحد من تفاقمها . وفي سبيل ذلك قاموا باجراء العديد من التجارب الرامية الى التعويض عن النقص المرتقب في محصول الأسماك وتطوير وسائل صيدها وسبل استغلالها . غير أن هنالك عوامل عديدة شاركت في وجود مثل هذا النقص ، المتزايد في الثروة السمكية لا بد لنا من الوقوف عليها والتعرف بها :

أسباب تناقص الثروة السمكية

ان الزيادة المطردة في تعداد سكان العالم ، والتي تقدر بنسبة ٢ في المائة سنويا ، لمن أهم العوامل التي تسهم في تناقص الثروة السمكية ، ويقدر الخبراء أن عدد سكان العالم في سنة ٢٠٠٠م سيصل الى نحو سبعة مليارات نسمة . ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في تناقص الثروة السمكية أيضا حملات الصيد المستمرة والواسعة النطاق التي أدت الى انقراض بعض أنواع الأسماك . وكذلك فان تلوّث مياه البحار والأنهار بالنفايات المنهمرة من المدن والمصانع والمختبرات الكيميائية ، كان لها دور فعال في انحسار الثروة السمكية بعد أن قضت على أعداد كبيرة من الأسماك وأثرت على توالد وتكاثر أعداد أخرى . وبالاضافة الى هذه العوامل ، هنالك عوامل أخرى ، شاركت في استفحال هذه المشكلة ، منها استعمال بعض وسائل الصيد السيئة التي أماتت أعدادا كبيرة من صغار الأسماك ، وانشاء عدد من السدود التي أعاقت سبل الهجرة الموسمية لبعض أنواع الأسماك ، مثل « السلمون » في أمريكا وأوروبا ، وكذلك شق القنوات الزراعية وتجفيف البحيرات .

كل هذه العوامل دفعت العلماء المختصين الى ايجاد الحلول المناسبة التي تعيد الطمأنينة الى سكان العالم ، ولا سيما الأقطار التي تعتمد في غذائها اعتمادا رئيسيا على الأسماك .

نموذج لإحدى الشباك الحديثة المستخدمة في تربية صغار سمك الربيان ، وهي مقاومة للعواصف البحرية ومزودة بفتحات تسمح بتسرب الماء النقي الى داخلها ..

تنظيم مناطق صيد السمك وصيانتها

وضعت في بعض البلدان المتقدمة اعتبارات اصطلح عليها فيما يتعلق بصيد السمك ، كان من شأنها تحديد الصفة القانونية لأحقية الصيد من مناطق معينة تشمل المناطق التي يملكها الصيادون ، والمناطق التي يحتاج الصياد فيها الى تصاريح رسمية من الدولة ، تخوله الصيد ضمن حدود مكانية وزمنية معينة ، والمناطق العمومية التي يتاح لعامة الناس ممارسة الصيد فيها .

وهذه المناطق على اختلافها يمكن استغلالها لغرضين :

أولا : اقتصادي حيث يتحقق للصيادين ربح مادي من تسويق محصولهم من الأسماك .

ثانيا : رياضي اذ أن صيد الأسماك أصبح رياضة عالمية لها هواتها ومحترفوها .

مراكز صيد الأسماك

تقدر كمية السمك الذي يصطاد لأغراض تجارية من المياه العذبة والملحة في العالم بحوالي ٣٤ مليون طن سنويا ، الى جانب ملايين أخرى من الأطنان يجري صيدها لأغراض الرياضة والهواية .

أما أهم المناطق التي يكثر فيها صيد الأسماك في العالم ، فهي منطقة شمال شرقي المحيط الأطلنطي ، وشمال غربي المحيط الهادي ، وذلك بالنسبة لأسماك البحار ، أما المناطق التي يكثر فيها صيد أسماك المياه العذبة فتقع في آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الوسطى . ومن المعروف أن أسماك مناطق المياه العذبة في البلدان المتقدمة يكاد يقتصر استهلاكها على الهواة والنوادي الرياضية ، ويندر استغلالها للأغراض التجارية والاقتصادية .

احدى الشباك العائمة الخاصة بحماية صغار الأسماك من أنواع معينة من الكائنات البحرية .. ويبدو هنا أحد المشرفين على تربية السمك يتفقد الشبكة ويطعم صغار السمك في داخلها .

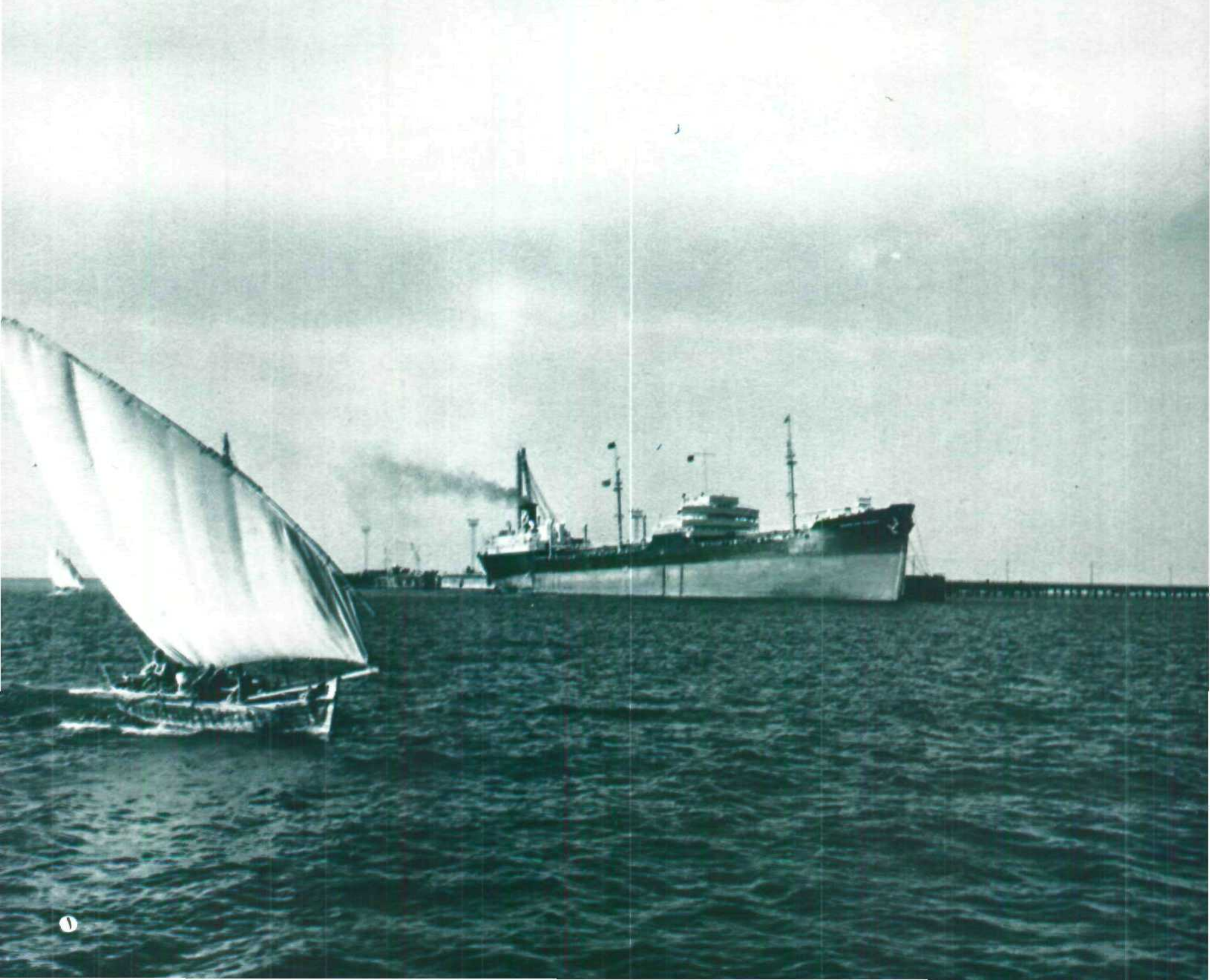
ان أهمية الثروة السمكية ، والعوامل التي أعاقت سبل نموها وتطورها وتسببت في نقصها ، وكذلك اتساع رقعة الصيد في مناطق عديدة من العالم وصفاتها القانونية ، كل هذه الأمور تساعدنا ، ولا شك ، على الوقوف على طبيعة المشكلة ومدى أبعادها .

ولعل أول خطوة فعالة نحو أي حل ناجع لهذه المشكلة ، في نظر رجال الأبحاث ، هي التمكن من مراقبة الانسان كقوة مستهلكة ، والتحكم في الثروة السمكية كمورد منتج . وعلى ضوء هذا الاعتبار ، أخذت الحكومات والمؤسسات على عاتقها أمر مراقبة الصيد ووضع الأنظمة واللوائح التي تحد من عبث الصيادين وتحقق التوازن بين المردود الاقتصادي وبين الحاجة الجماعية من جهة ، وبين الطاقة الانتاجية للثروة السمكية من جهة أخرى . ومن أبرز هذه الأنظمة اجراء الدراسات العلمية الدقيقة لطبيعة كل منطقة ومعرفة أنواع الأسماك المتواجدة فيها ، ودورة حياة كل فصيلة ، ونوع غذائها وما تحويه من قيمة غذائية . فاذا ما تم كل ذلك ، أصدرت الجهة المسؤولة مرسوما تبين فيه الموسم المناسب للصيد والمنطقة التي تكثر فيها الأسماك المكتملة النمو ، بالاضافة الى انشاء أجهزة تتولى الاشراف على عملية الصيد بصفة مستمرة .

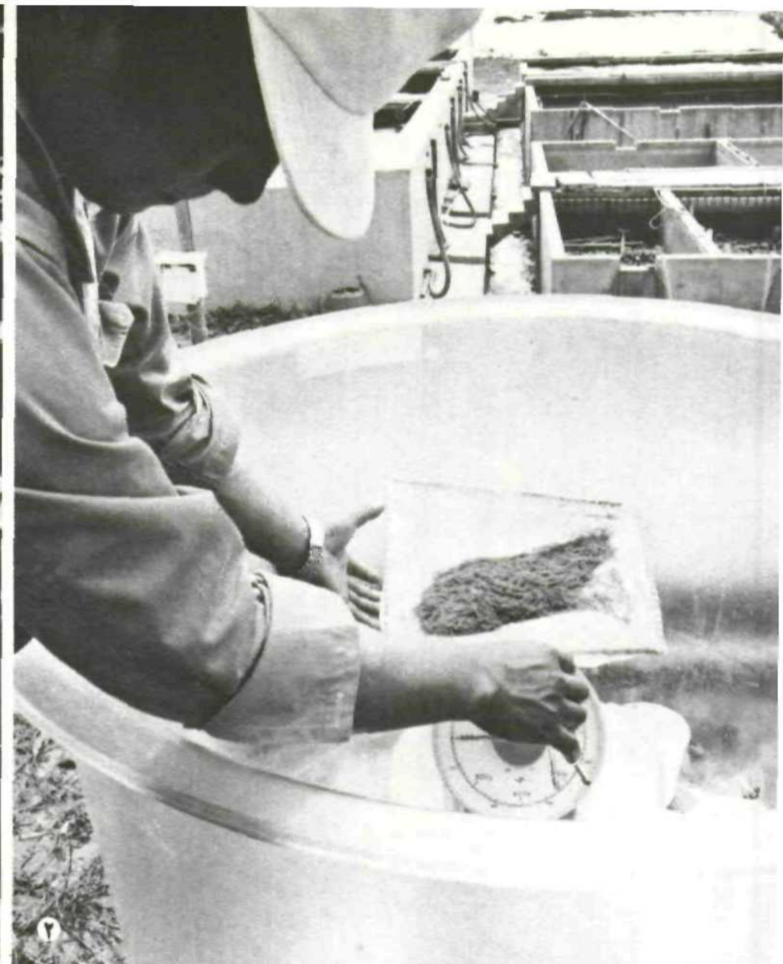
تعليم صيادي الأسماك

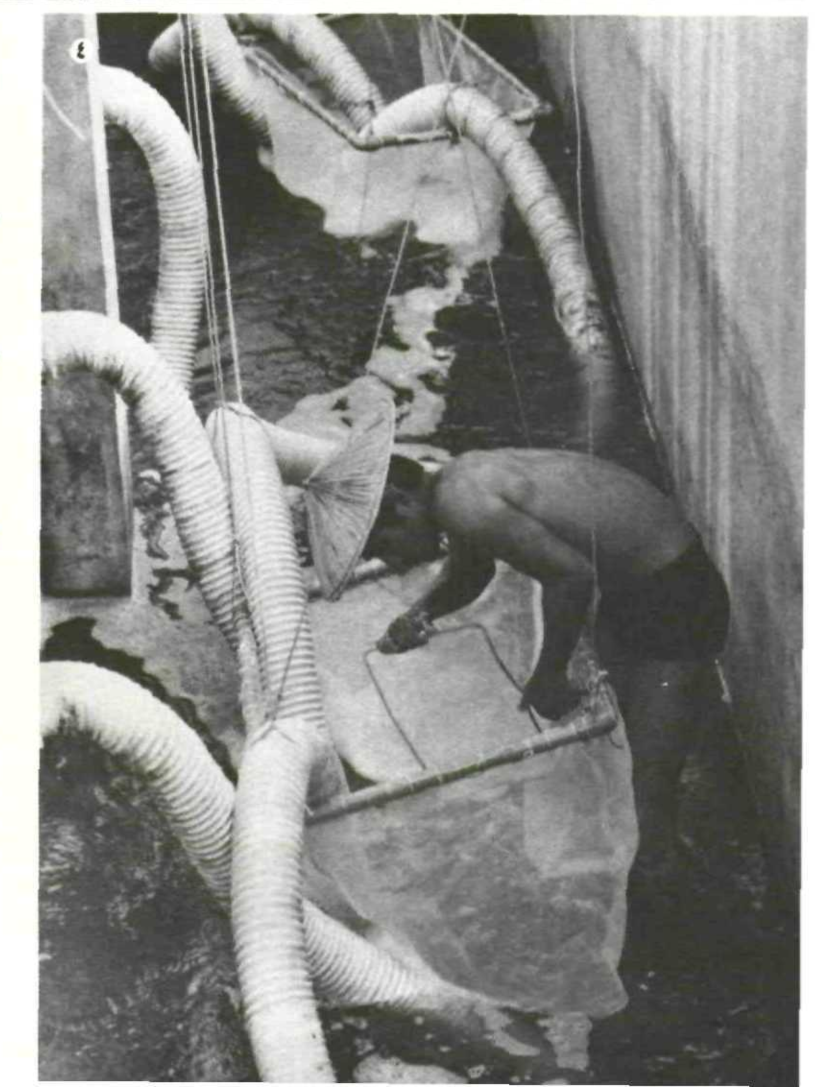
أما بالنسبة لصيادي الأسماك فقد فرض عليهم أمر دراسة وسائل الصيد وكيفية استخدامها على أسس سليمة تضمن استغلال محصول جيد وتحافظ على استمرار تزايد الثروة السمكية بما في ذلك إلمامهم بوسائل التخزين خلال عملية الصيد وبعدها ، وبطرق النقل السليمة الكفيلة بوصول الأسماك الى الأسواق في حالة جيدة .

وليس أدل على ضرورة تعليم صيادي الأسماك وتوجيههم من اهتمام كليات صناعة صيد الأسماك في الفلبين وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، بتخريج جماعات متخصصين في ادارة عمليات الصيد والاشراف عليها ، ونشر القواعد الحديثة لصيد الأسماك على أسس منظمة . كما أن ثمة متخصصين في هذا الحقل أخذوا على عاتقهم مهمة اصدار النشرات العلمية التي تشرح وسائل حفظ الأسماك سواء بالتبريد ، أو التمليح أو التعليب ، مما قلل من نسبة تلف بعض المحاصيل وساعد على ضمان الجودة النوعية للأسماك المحفوظة .







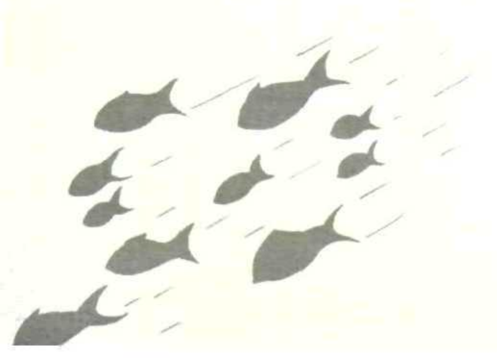


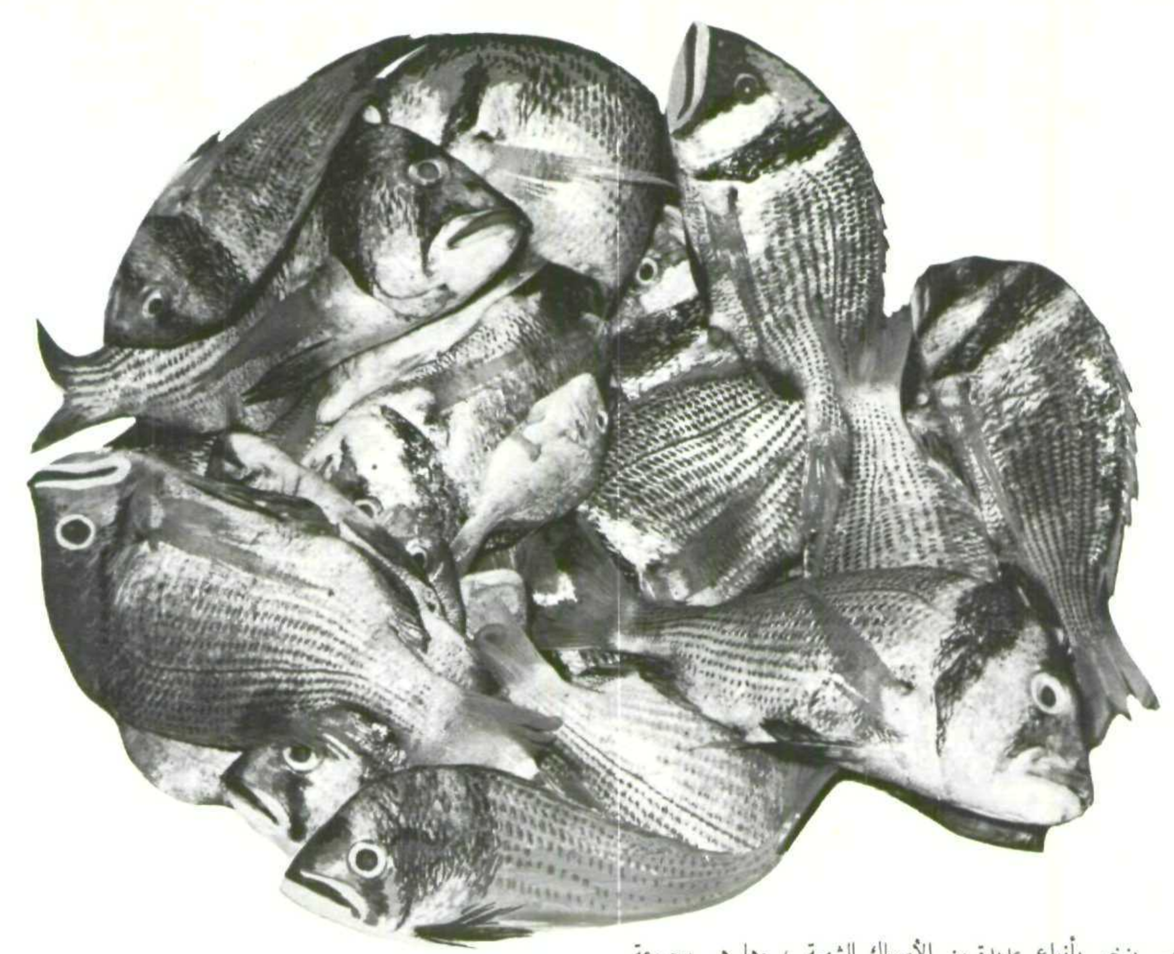
١ – كان الصيـــد ، ولا يزال مورد رزق لكثير من سكان المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ، ويبدو في الصورة أحد قوارب الصيد يجوب مياه الخليج العربي في احدى رحلات الصيد اليومية ..

٢ – عامل في مركز لتربية الأسمـــاك في اليابان ، يزن مجموعة من يرقات الربيان قبيل نقلها الى احدى المزارع الاصطناعية الخاصة بتربيتها .

٣ – جانب من باحة سوق السمك التابعـة لمركز تربية الأسماك في اليابان حيث يؤمه أصحاب المطاعم والحوانيت والباعة المتجولون لشراء متطلباتهم اليومية من أنواع السمك الذي تنتجه الأحواض الاصطناعية .

٤ – خزانات خاصة بنقل يرقات السمك الى احدى المزارع الاصطناعية المقامة لتربيتها . وهذه الخزانات مزودة بالهواء اللازم لتأمين أفضل الظروف البيئية لها خلال فترة نقلها التي تستغرق عادة خمسة أسابيع ..





الخليج العربي يزخر بأنواع عديدة من الأسماك الشهية ، وها هي مجموعة منها معروضة في سوق السمك بالدمام .

أحدث الحلول العلمية

لا شك في أن إسهام الجهات المختصة بصناعة صيد الأسماك وتوفر أنظمة الاشراف والرقابة على عمليات الصيد ، ومشاركة المؤسسات العلمية ، والجهود التي أسداها العلماء والباحثون كانت مثمرة بحيث أسفرت جميعها عن نتائج طيبة ، أدت بالتالي الى تحقيق وفر نسبي في الثروة السمكية ، وقللت في الوقت نفسه من خطر تناقص هذا المورد الغذائي الهام . الا أن هذا كله لم يضع حدا نهائيا للمشكلة ، اذ لا زالت هناك بعض الصعوبات تواجه رجال الأبحاث ، فكان لا بد من منطلق آخر فعال يقود الى حل جذري .. وكان ذلك المنطلق هو انشاء مزارع حديثة لتربية الأسماك .

« زراعة السمك » اصطلاح علمي يوحي الى الاطمئنان وانتصار الانسان في توفير الغذاء الجيد لبني جنسه . ولقد وجه الانسان الحديث نظره الى البحر ، وأخذ بما توصل اليه من تقدم في العلم ، يدخل التحسينات الضرورية على البيئة البحرية لتوفير حياة أفضل للكائنات المائية ، وتمكينها من التكاثر والنمو بصورة أرقى مما كانت عليه . وكان من أبرز ما قام به العلماء ازاء هذا المضمار أن صمموا أحواضا اصطناعية لتربية الأسماك وتحديد نوعها ودرجة نموها . وقد نشأت هذه الصناعة أول ما نشأت في اليابان حيث وضعت برامج خاصة بالزراعة البحرية شملت استخدامَ التنظيم الاصطناعي في وضع بيض السمك وتربيته ، واطعامه وحمايته بقصد الحصول على السمك الصالح للأكل . واستحداث مثل هذه المزارع ليس بالأمر الهيّن اذ يشترط ايجاد بيئة بحرية مثلى يتوفر فيها الطعام ودرجة الحرارة المناسبة والضوء والملوحة. وتوافر مثل هذه الشروط قد تفتقر اليه البيئة البحرية الطبيعية مما يؤثر على تكاثر الأسماك ونموها . فمثلا أنثى سمك « الابراقيس » الحمراء تضع مئات الألوف من البيض ، لكن عددا ضئيلا منها فقط يفقس وينمو في بيئة البحر الطبيعية وأما الباقي فيذهب هباء .

ان التربية الاصطناعية الحديثة للسمك تضمن صلاحية عدد كبير من هذا البيض كما أثبتتها التجارب العلمية التي أجريت على هذا النوع من الأسماك .

وهذه المزارع الحديثة تقوم على فكرة تربية الربيان وصغار الأسماك في أحواض اصطناعية تكفل الحماية التامة لها وتقيها خطر الأسماك الكبيرة التي تلتهمها قبل اكتمال نموها ، وتمكنها من الدفاع عن نفسها. ومن ميزات الأحواض الاصطناعية هذه أنها لم تساعد على زيادة الانتاج فحسب بل ساعدت أيضا على تحسين الجودة النوعية والمذاق وذلك نتيجة للمراقبة العلمية على مراحل تغذيتها داخل تلك الأحواض ولانتقاء الأعشاب البحرية الملائمة لها ..

ويعتبر مركز تربية الأسماك في اليابان من أهم المراكز في العالم التي طوّرت زراعة الأسماك وتربيتها . وقد جاءت جميع النتائج التي أسفرت عنها التجارب التي أجراها هذا المركز تبشر بزيادة الانتاج وجودة النوع . وتشير التقارير الى أن نسبة محصول سمك « البراقيس » قد ارتفعت الى ٥٠٪ بعد تربية صغاره في الأحواض الاصطناعية .

هذا ، ولا تزال مراكز صيد الأسماك في العالم توالي جهودها العلمية الرامية الى تطوير هذه الفكرة العلمية الحديثة التي تشير نتائجها المبكرة الى مولد عهد جديد في صناعة الأسماك ■

عبد المحسن محمد الباز – هيئة التحرير

رَوائعُ الابتكار في القرنِ العشرين

للشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي

أطرقتُ ، أَستعرضُ الماضين ، آمادا   طولا ، وعرْضاً ، وأقواماً ، وآحادا
وأستحثُّ الخُطى ، نحوَ الأُولى درجوا   جيلاً ، فَجيلاً ، وعبْداناً ، وأسيادا
وقدْ أطافتْ بيَ « الذكرى » مُجَنّحةً   منْ عهْدِ «آدم» ، أجداداً ، وأحفادا
وجاشَ صدري بِهمْ ، ما بيْن مَنْ سبَقوا   وبيْن منْ لِحقوا ، غيْباً ، وأشهادا
حتى كأنِّي أرى « الدُّنْيا » بما وَسِعتْ   فيما تخيَّلتُ « بنْتَ اليَوْم » ميلادا
فما تمثلتُ الاَّ الأرْضَ مائجةً   تحتَ السماءِ ! والاَّ الخلقَ أضدادا
مواكبُ بعْدَ أُخرى لا انقِطاعَ لها   شرْوَى النُّجومِ ، وما أحصَيْتُ تعْدادا
تبدو ، وتخفى ، ويرفضُ « السديمُ » بها   « نيازِكاً » ، أو شظايا عُدْن أصهادا
والناسُ منْها على عِلاتِهم عبَروا   أشباهَها ، عَدَماً يَبْلى ، وايجادا
ضاقَ الفضاءُ بِهمْ ، وازورَّ ، أكثرُهم   وقدْ تعاقبَ طُغياناً ، واخلادا
حاشَا الّذينَ هم « البانُون » قدْ نطقَت   آثارُهم ، وهمُ « الأفذاذُ » أمجادا
و « المُصْلحون » الأُولى ، ماتوا ، وما بَرِحوا   بما به بَشّروا ، يُحْيون « أزوادا »
هناكَ ! قلْتُ : ولماَّ اقْضِ من عجَبٍ   لشدَّ ما اختلفَ « الانسانُ » أفرادا
لا بُدَّ منْ حِكْمةٍ « للهِ » ، بالغةٍ   بها تميزَّ هذا « القرنُ » ، وارتادا
إنْ جاءَنا قبْله « الفرقانُ » بيِّنَةً   ففيهِ قدْ فُصِّلَتْ ، صَدْراً وايرادا
حيثُ التُّخُومُ وراءَ « القُطْبِ » دانيَةً   وراحةُ اليدِ ، « أُوزاكا » وَ « نيفادا »
و « الأُكْتَرُون » تحدَّتْ كُلَّ خافيةٍ   أسرارُهُ — وغَزا « الأفلاكَ » ، أو كادا
وطوَّعَ الظلمةَ « الرّادارُ » مُخْترِقاً   موجَ « الأثيرِ » ، وشَنَّ الحرْبَ أرصادا
وفُطِّرتْ فيهِ ، « ذرّاتُ مدمِدمة »   هِيَ « الزلازلُ » تدْميرا ، وتحصادا
يَغْدو « الأَديمُ » أخاديدا .. ببغتتها   وكلُّ ما لامَسْته ، انْدكَّ أكدادا
واستقْبلَ « القَمَرُ » الإنسانَ مُكْتشفاً   كما تمطَّى عليْه « العِلْمُ » مرتادا
أفْضَى اليْه ! ولمْ يُعجِزْه أنْ شطَحتْ   به « المسافاتُ » ، والهالاتُ إصعادا
وانسلَّ منهُ ، وفي كفَّيْه « تُربتُهُ »   رَمْلاً ، وملاًّ(١) ، وأحْجاراً ، وأصلادا
وانقضَّ يسبَحُ « للمرِّيخ » في دَأَبٍ   يداعِبُ الشمسَ — والأقمارَ — صَمّادا
كأنَّهُ لمْ يَكُنْ « تكوينُهُ » بَشَراً   ولا « تقوَّم » أفلاذاً ، وأكبادا
« عصْرُ البُخار » انقضى ! واحتلَ قِمتَه   « بالكهرباء » وميض البرق ، رعّادا
كنْ في الطِّباق ، أو الأعماقِ زاخرةً   تسمَعُ ، وتشْهدْ حديثَ الهمْسِ رَدّادا
« بالهاتف » اتصلَ القاصون ، واقتربوا   صَدْعا ، ورَجْعا ، واغْوارا ، وأنجادا
وعاد ما كان « طيفاً » ، أو رُؤىً سَنَحتْ   حقاً ، وصِدْقاً ، وإنجازا ، وإعتادا
وما عسَى يستطيعُ « الفكِرُ » منبثقاً   إذا هُوَ استقرأَ « التّرانْيَّ » و « الرّادا » ؟
« فتحٌ » تحيرَ فيه « الجن » وابْتأَسوا   و « الإنسُ » ، عانوهُ ، ترهيباً ، وارغادا
كلُّ « ابتكارٍ » الى الابداعِ غايتُه   وهْوُ « الصراطُ » لمنْ صافَ ، ومَنْ عادي
إن الحياةَ لعَمْرُ اللهِ ما اتَّسقَتْ   الا لِذي « قوةٍ » يزْهو ، بما اقتادا
هي البيانُ ! هي البُرهانُ ! لا جدلٌ   فيه ، وما هي إلا لامرِيءٍ فادى
لكنّما هيَ ، ما شطَّتْ ، وما بَطَشتْ   تُذْري « هَباءً » ، وأنكالا ، وأنكادا
وما البقاءُ — تخاريفٌ ، وشعوَذةٌ   لكنهُ « الدَّمُ » موّارا ، وفَصّادا
ومَنْ تهيَّبَ ، يَفْنَى في مباذِلِه   وما به افتَنَّ ، لهواً كان ، أو زادا
والضعفُ ما الضعفُ الا للذليلِ بهِ   « عقوبةٌ » .. تجعلُ « الحِلْياتِ » أصفادا
فقلْ لمنْ حَسِبوا « التَّمكينَ » الهِيَةً   و « النصرَ » أغنيَةً ، والزَجْرَ إنشادا
إنّ الوجودَ كفاحٌ ، والمُنى هَذَرٌ   والعلمُ نورٌ ، وكَمْ أجْدى ؟ وكمْ جادا ؟
لهفي على « الشعر » جَيّاشاً ، وليسَ لهُ   غير « الأمانِيَ » أطنابا ، وأوتادا
يبتزُّ منهُ « المعاني » كلَّ منْطلقٍ   تخالُهُ — وهْوَ عبْرَ السَّمك « مِنطادا»
اذا تغَنَّى بها « القيثارُ » ، مادَ بهِ   مَنْ كانَ في جَهْلِه يختالُ ميادا
وما الخيالُ سوى التهويمِ في سِنةٍ   أذْرَتْ « ثمودَ » وأرْدَتْ قبْلها « عادا »
في كُلِّ ما دقَّ ، أو ما جَلَّ « معجزةً »   بها تطوَّرَ هذا « الكونُ » آبادا
طورا مُحَجَّبةً عنّا ، وآونةً   كالشَّمْس تَبْهرُ ، آصالا ، وآرادا
إني — بما في « بلادي » وهي ناميةٌ   مِنْ وثْبةٍ تُنشيءُ الفتْيانَ آسادا
أرى لنا « حاضرا » يرضى الإباءَ بهِ   « وعياً » و « سعياً » و « تثقيفاً » ، و «إعدادا»
تسابقوا كعتاق الخَيْلِ ، وازدحموا   على « الصفوف » الى الأهْدافِ ، أندادا
ما هُم قليلٌ ، وفي آبائِهم سلَفٌ   كانوا — وما بُرحوا — للمجْدِ أطوادا
وعدْتُ منْ رِحلَتي أرنو الى « غَدِنا »   قريرَ عيْنٍ بمَنْ يشدُو — ومَنْ شادا
وأحمَدُ اللهَ بالنَّعماءِ تغمُرُنا   وانَّهُ قدْ حبانا « الفوزَ » — « ميعادا »

١) الملّ ، هو الرماد .

احمد بن ابراهيم الغزاوي – مكة المكرمة

اخبار الكتب

صدرت مجموعة من نفائس المخطوطات عن المطبعة الملكية في الرباط باشراف وتحقيق العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، وكلها من مختارات الأدب المغربي ، منها « روضة الآس في من لقيته من أعلام مراكش وفاس » للعلامة أحمد المقري صاحب « نفح الطيب » ، و « الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون » لابن غازي ، و « نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك » وهي ملحمة شعرية للملزوزي ، و « روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل الشريف » لليافرني ، و « روضة النسرين في دولة بني مرين » للأمير ابن الأحمر ، و « نشر أزاهر البستان » لمحمد بن زكور ، و « الاختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار » لمحمد ابن قاسم السبتي ، و « كتاب قبائل المغرب » وهو من تأليف الأستاذ عبد الوهاب بن منصور .

ومن كتب التراث الجديدة « الفائق في غريب الحديث » للزمخشري – تحقيق الأستاذين علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ونشر مكتبة عيسى البابي الحلبي ، و « ديوان العجاج » عن رواية عبد الملك ابن قريب الأصمعي وشرحه ، تحقيق الدكتور عزة حسن ونشر مكتبة دار الشروق ببيروت ، والقسم الخاص بشعراء المغرب والأندلس من كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني الكاتب من تحقيق العلامة الايراني اذداش اذرنوش ومراجعة الأساتذة التونسيين محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ونشر الدار التونسية ، و « كتاب الأمثال » لأبي فيد السدوسي وتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « شعر عروة بن أذينة » تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ونشر مكتبة الأندلس ببغداد ، و « شعر علي بن جبلة المعروف بالعكول » تحقيق الأستاذ أحمد نصيف الجنابي ونشر مطبعة الآداب بالنجف .

* أصدر العالمان الكبيران الأستاذان كوركيس وميخائيل عواد كتابا جمعا فيه مصادر دراسة الشاعر أبي تمام عنوانه « أبو تمام الطائي : حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية » نشرته مطبعة الارشاد ببغداد .

ومن الموسوعات الجديدة « موسوعة تاريخ مصر » للأستاذ أحمد حسين نشر دار الشعب وطبعة ثانية من « الموسوعة العربية الميسرة » تطبع حاليا لمجموعة من العلماء ، والجزء الثاني من المجلد الأول من « الموسوعة الموجزة » للأستاذ حسان بدر الدين الكاتب ونشر مطابع ألف باء الأديب بدمشق ، و « المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي وترجمة الدكتور أكرم فاضل ونشر وزارة الاعلام العراقية و « دليل الكتاب المصري » وهو قائمة ببليوغرافية للكتب المعروضة في دور النشر المصرية أعدتها لجنة من خبراء دار الكتب ونشرتها الهيئة العامة للكتاب .

* يطبع في الأرجنتين ديوان الشاعر المهجري الأستاذ ركي قنصل فيصدر تباعا في ستة أجزاء .

ومن الدواوين الجديدة التي نشرت : « أيها الأرق » للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري وقد صدر عن مطبعة الأديب ببغداد ، و « قصائد حب على بوابات العالم السبع » للشاعر عبد الوهاب البياتي وقد صدر عن وزارة الاعلام العراقية ، و « أنت لولاي رماد » للشاعرة هدى صليبا وقد قدم له الأستاذان عبد اللطيف شرارة وجان كيد وصدر عن الشركة اللبنانية للكتاب ، و « الصوت والأصداء » للأستاذ محمد رضا آل صادق وقد صدر عن مطبعة الآداب بالنجف ، و « في موكب الأيام » للشاعر خليل الليثي وقد قدم له الدكتور عبد الصبور مرزوق وصدر عن مطبعة الكيلاني بالقاهرة .

* يصدر للمؤرخ الدكتور أحمد سوسة كتاب عن العالم الجغرافي السيد الشريف الادريسي يترجم فيه لهذا الرحالة الرائد ويدرس خارطته الجغرافية المشهورة . ومما يذكر أن العلامة الأستاذ محمد عبد الغني حسن أصدر أخيرا كتابا عن سيرة هذا الجغرافي الكبير .

* ومن كتب التراجم الجديدة « ابراهيم بن أدهم » للدكتور عبد الحليم محمود ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « تولستوي فنانا » للدكتورة حياة شرارة ونشر مطبعة سلمان الأعظمي ببغداد ، و « ذكرى الشيخ آغا بزرك الطهراني » لطائفة من الأساتذة وقد صدر عن مطبعة النعمان بالنجف ، و « الطرماح حكيم الطائي » للأستاذ عزمي الصالحي ونشر مطبعة الاقتصاد ببغداد ، و « البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل » للأستاذ يونس أحمد السامرائي وقد صدر عن مطبعة الارشاد ببغداد.

* ويصدر في سان باولو كتاب عن الأديب الصحافي الأستاذ موسى كريم الذي قضى أكثر من نصف قرن في خدمة الصحافة والأدب في المهجر متضمنا كلمات الأدباء والشعراء في حفل تكريمه .

كما يصدر عن الأديب العراقي الأستاذ هلال ناجي كتاب يحتوي على نحو أربعين دراسة لأدبه وشعره بأقلام أدباء ونقاد وشعراء من البلاد العربية والمهاجر ، وهذا ثالث كتاب يصدر عن هذا الأديب ، فقد سبقه كتابان هما « شاعر اللمحات المضيئة » و « هلال ناجي أديبا » .

* القاص الكبير الأستاذ يوسف جوهر صدرت له مجموعة جديدة من أقاصيصه عنوانها « دموع في عيون ضاحكة » نشرت في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف ، كما صدرت مجموعات أخرى من الأقاصيص الجديدة منها «العيون» للأستاذ سليمان فياض ونشر دار الآداب ، و « الناس والعيب » للأستاذ عنتر مخيمر ونشر مطبعة عبد النبي بالزقازيق ..

وفي الأدب الروائي صدرت مسرحية « الجيل الطالع » للأستاذ نعمان عاشور عن الهيئة العامة للكتاب ، كما صدرت الروايات التالية : « الوشم » للأستاذ عبد الرحمن مجيد وصدرت عن دار العودة ، و « المعلم علي » للأستاذ عبدالكريم غلاب وصدرت عن المكتب التجاري ببيروت ، و « الدوامة » للأستاذ غبريال وهبه وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

* من الدراسات الأدبية الجديدة « قضايا النقد الأدبي » للدكتور بدوي أحمد طبانة ونشر دار المعرفة ، و « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » للأستاذ البشير بن سلامه ونشر الدار التونسية ، و « الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين » تأليف الأستاذ صاحب كر وتقديم الدكتور داود سلوم ونشر مطبعة الشعب ببغداد ، و « أصول الثقافة العربية » للأستاذ أنور الجندي ونشر دار المعرفة ، و « معالم الدراما في العصر الحديث » ، للأستاذ يوسف عبدالمسيح ثروة ونشر المكتبة العصرية ببيروت ، و « مع البخلاء : عرض دراسي لكتاب الجاحظ » للأستاذ فاروق سعد ونشر الشركة اللبنانية للكتاب .

* المستشرق الحاج الدكتور عبد الكريم جرمانوس طبع له المجمع العلمي المجري رسالة « الشعر الحديث في جنوب جزيرة العرب » باللغة الانكليزية ، كما تظهر له قريبا طبعة جديدة موسعة من كتاب « تاريخ الأدب العربي » منذ الجاهلية الى هذا اليوم ■

كتب مهداة

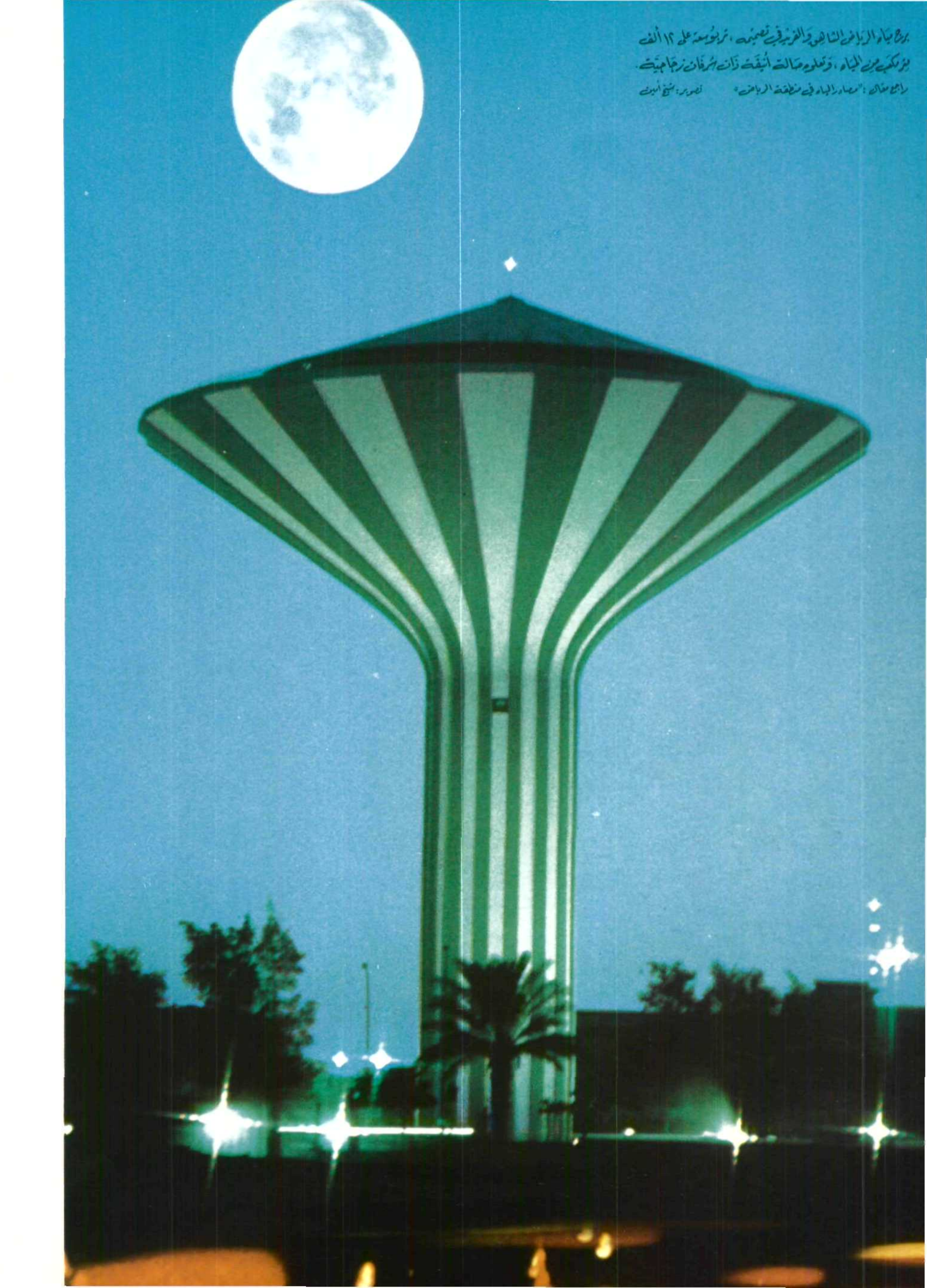
حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

* « مع القرآن الكريم » للدكتور أحمد محمد الحوفي ، رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وقد ضم الكتاب اثني عشر بحثا تناول فيها المؤلف الأدلة العقلية على انزال القرآن الكريم ، واعجازه ، ودلائل اعجازه ، وسجعه الفريد ، واساليب القسم في اللغة وفي القرآن ، وتقدير القرآن للعلماء ، وتحكيم التفكير في الاستدلال على وحدانية الله ، ومظاهر الثواب العاجل والعقوبات الواردة في القرآن ، والقرآن والشعر ، ومواقف النبي من الشعر ، وكذلك آثار القرآن في الشعر والخطابة والحوار والكتابة .. وقد دعم المؤلف هذه الابحاث بآيات قرآنية عديدة . ويقع الكتاب في نحو ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وتولت نشرة دار نهضة مصر للطبع والنشر .

* « ايران ومصر عبر التاريخ » للدكتور حسين مجيب المصري ، وهو عبارة عن بحث قدم بالفارسية الى المؤتمر العالمي للدراسات الايرانية الذي انعقد في اكتوبر ١٩٧١ في مدينة شيراز بايران بمناسبة الاحتفال بمرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الدولة الفارسية .. ويتناول البحث الصلات التاريخية بين مصر وايران قبل الاسلام وبعده .. ويحتوي البحث في خاتمته على ثبت بالمصادر الشرقية والأوروبية التي اعتمدها الكاتب في اعداد هذه الدراسة التاريخية .. وقد تولت طبعه ونشره مكتبة الانجلو مصرية ■



جانب من أحواض إحدى المحطات الخاصة بتربية صغار الأسماك والمنتشرة في اليابان.



برج مياه الرياض الشاهق والفريد في تصميمه، تربو سعته على ١٢ ألف متر مكعب من المياه، وتعلوه صالة أنيقة ذات شرفات زجاجية.

راجع مقال: "مصادر المياه في منطقة الرياض"

تصوير: شيخ أمين



ليس هذا البرج في أحد البلاد العربية ، ولكنه من بقايا آثار العرب في مدينة "ميورقة" الاسبانية . راجع مقال : مدينة وجزيرة ميورقة .

تصوير : خليل أبو النصر



منظر ليلي لمرافق معمل تكرير الزيت في رأس تنورة.

راجع مقال: الزيت يبدد بهمة الليل وحلكة الظلام. تصوير: علي محمد خليفة